المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

التاريخانية الجديدة
وقراءة الأدب "خطط الغيطاني" نموذجاً

New historicism and reading
'Al-Ghitani's Plans' literature as a model

بقلم الدكتور

محمد علي أمين محمود

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب
جامعة بني سويف ـ جمهورية مصر العربية

الترقيم الدولي/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الثاني من إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

التاريخانية الجديدة وقراءة الأدب "خطط الغيطاني" نموذجاً

محمد علي أمين محمود

قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة بني سويف ، مصر .

البريد الإلكتروني: M_amin075@yahoo.com

الملخص

تحاول هذه الدراسة أن تتبيَّن ملامح التاريخانية الجديدة في رواية "خطط الغيطاني" لجمال الغيطاني؛ ومن ثَمَّ فهي تحاول، بعبارة أخرى، تقديم قراءة جديدة لـــهذا النص الروائي، تستند على نظرة مغايرة للتاريخ؛ كما يبدو في الأدب؛ وهي نظرة ترفض فكرة أن يكون الأدب مجرد محاكاة لتاريخ معين أو واقع محدد؛ وتؤكد، في الوقت ذاته، دور الأدب في إعادة صياغة هذا التاريخ أو ذلك الواقع، وفتحه أمام القارئ بما يتيح له طرح تأويلات متعددة للتاريخ أو الواقع.

الكلمات المفتاحيـة : التاريخانية الجديدة، خطـــط الغيطـــاني، المحاكـــاة، الشفرة، الخطاب.

New historicism and reading 'Al-Ghitani's Plans' literature as a model

Muhammad Ali Amin Mahmoud
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Beni Suef University, Egypt .
Email: M_amin075@yahoo.com

Abstract

This study tries to show the features of New Historicism in "Al-Ghitani Charts", a novel written by Gamal Al-Ghitani. The writer of the study attempts to introduce a new reading of the novel building on a different perspective of history as shown in literature. This perspective refuses the idea of literature being a mere imitation of reality. It emphasizes, in the same time, the role of literature as a kind of reformulation of this history, or this reality, to open new venues to the reader who will be free to suggest various interpretations of history and reality.

Keywords: New historicism – Al-Ghitani Charts - imitation – code – discourse.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإطار النظري:

ظهرت الاتجاهات الشكلية في النقد الأدبي الحديث؛ كالنقد الجديد، والبنيوية، وغيرهما، بوصفها رد فعل عنيف ضد أفكار النقد التقليدي القديم؛ تلك الأفكار التي كانت تنظر إلى الأدب على أنه تصوير أمين للواقع والتاريخ. ومن ثمَّ فقد أكَّدت الاتجاهات الشكلية؛ سالفة الذكر، أن للنص الأدبي وجوده المستقل؛ الذي يتيح له الانغلاق على نفسه.

وعلى هذا النحو رفضت الاتجاهات الشكلية، سالفة الذكر، أفكار التاريخية القديمة، كما ظهرت في النقد التقليدي؛ التي تؤكد أن الأدب هو فقط تصوير للواقع أو نقل للتاريخ، وأنه وثيقة للأحداث الجارية؛ فهو ينقل الواقع والتاريخ نقلاً أمينًا، دون أن يتغير محتوى هذا الواقع أو التاريخ. إن هذا التوجّه النقدي التقليدي "يصور الأدب بشكل مبالغ على أنه مجرد انعكاس للقواعد والشفرات الاجتماعية"(١).

وقد أعادت الاتجاهات النقدية الحديثة، بوجه عام، النظر في أفكار التاريخية القديمة، وانتهت إلى رفضها، ومناهضتها. وكان لكل واحد من هذه الاتجاهات تصوراته الخاصة حول علاقة الأدب بالواقع والتاريخ، وهي، بوجه عام، تخالف ما درجت عليه التاريخية القديمة من تصورات حول هذه العلاقة.

إن النقد الجديد، على سبيل المثال، يؤكد ضرورة قطع الصلة بين الأدب والتاريخ؛ إذ ينبغي فهم الأدب من داخله فقط، دون الاعتماد في هذا الفهم على أمور أخرى خارج الأدب نفسه؛ كالتاريخ؛ فالأدب، عند النقاد الجدد، مستقل بذاته، أو بعبارة أخرى، يمتلك مقومات وجوده، ولا يحتاج في تأكيد وجوده إلى الاعتماد على أمور أخرى خارجة عنه؛ كالتاريخ.

---

(١) فنسنت. ب. ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ترجمة: محمد يحيى، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٤٠٤.

وبعد النقد الجديد توالى ظهور عدد من الاتجاهات النقدية، رفضت ما ذهب إليه النقد الجديد بشأن فهم الأدب. وأكدت هذه الاتجاهات أن الدور الفاعل في فهم الأدب لا يرجع إلى النص وحده؛ فلا وجود للنص عندهم بمعزل عن القارئ. هذا ما أكدته اتجاهات نقدية كثيرة؛ مثل: التفكيكية، ونظرية التلقي، ونقد استجابة القارئ، والتاريخانية الجديدة.

والتاريخانية الجديدة (New Historicism)، اتجاه نقدي حديث، يتعامل مع الواقع أو التاريخ من منظور آخر مغاير للتاريخية القديمة؛ فإذا كانت التاريخية القديمة تؤكد أن الأدب ينقل الواقع والتاريخ نقلاً أمينًا؛ فإن التاريخانية الجديدة ترى خلاف ذلك(١)؛ فهي تؤكد قيمة العقل الإنساني وفاعليته الدائمة في تشكيل الواقع والتاريخ. هنا تبرز بوضوح فكرة ذاتية العقل الإنساني عند التاريخانية الجديدة، في مقابل فكرة موضوعية هذا العقل عند التاريخية القديمة. والتاريخ نفسه، عند التاريخانية الجديدة، ذاتي. فمن يسجل تاريخ حقبة ما، يكتب هذا التاريخ متأثرًا بخلفيات كثيرة من الأفكار التي رسخت في ذهنه؛ ووجَّهت كتابته لهذا التاريخ، بوعي منه أو بدون وعي؛ وأَضْفَتْ، من ثَمَّ، على كتابته ملمحًا ذاتيًّا.

وتحاول التاريخانية الجديدة الكشف عن الظرف التاريخي للأدب؛ وهي، من ثَمَّ، تحاول الإجابة عن سؤال؛ هو: ما الظرف التاريخي الذي تولَّد عنه الأدب؟ وعلى هذا النحو فإنها تتعامل مع التاريخ، ليس بوصفه خلفية للأدب؛ بل بوصفه مكونًا رئيسًا من مكونات الأدب؛ فالتاريخ، عند التاريخانيين الجدد جزء من نسيج النص الأدبي، بل هو، بعبارة أخرى، نص آخر داخل النص الأدبي، ولا يمكن دراسة النص الأدبي دون الوقوف عليه وتفسيره. وفي هذا السياق يذهب جوناثان كولر(٢) إلى أن الأدب، شأنه شأن أي ظاهرة ثقافية أخرى، ينبغي وفقًا لهذا

(١) راجع: ك. نلووف، ك. نوريس، ج. أوزبورن، القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، ترجمة:إسماعيل عبدالغني وآخرون، المشروع القومي للترجمة، القاهرة،٢٠٠٥م، ص١٠٠.

(٢) راجع: جوناثان كولر، مدخل إلى النظرية الأدبية، ترجمة: مصطفى بيومي عبدالسلام، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٧٢.

التصور، أن يستند تحليله على ربطه بالمجموع الاجتماعي أو الثقافي، الذي نتج عنه هذا الأدب، أو نشأ فيه.

غير أن الوقوف على الظرف التاريخي الذي انبثق منه الأدب لا يتم، عند التاريخانيين الجدد، على نحو موضوعي؛ فهم يؤكدون دائمًا البعد الذاتي في فهم التاريخ وتفسيره، ولا يوجد عندهم تاريخ موضوعي؛ فالتاريخ، وفقًا لرؤيتهم، يتأثر تدوينه بالذات المُدَوِّنة، كما يتأثر تدوينه كذلك بالذات المُفَسِّرَة؛ إذ يتأثر تدوينه برؤية المُدَوِّن لِلَّحْظَة التاريخية موضع التدوين، كما يتأثر مُفَسِّرُه بما لديه من شبكة من المفاهيم والرؤى، التي يتشكل تفسيره وفقًا لها. ولعل هذا هو ما دفع بول هاميلتون إلى تأكيد أن من الصعوبات التي تواجه التاريخانية الجديدة "صعوبة تناول الماضي بعد انتهائه"(١).

والأدب عند التاريخانيين الجدد، خطاب يتفاعل مع ظروفه التاريخية؛ ومنها الثقافة التي يندرج ضمنها هذا الأدب؛ لذا ينبغي عندهم، من أجل إنتاج المعنى التاريخي للأدب، الوقوف على أوجه تفاعل الأدب مع ثقافته؛ التي يؤثر هو في تشكيلها، كما تؤثر هي كذلك في تشكيله. وعلى هذا النحو يبدو حرص التاريخانيين الجدد على "وضع الظواهر والمنتجات الجمالية في علاقة مع كل من الهيئات الاجتماعية والأعمال الثقافية الأخرى. ويتطلب هذا المشروع من نقاد الأدب لا التحليل النصي وحده؛ وإنما كذلك البحث في الأسس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والمؤسسية والتاريخية للإنتاج والتوزيع والاستهلاك الثقافي"(٢).

على القارئ إذن، عند التاريخانيين الجدد، أن يحاول فهم النص الأدبي في ضوء سياقه التاريخي، أو بعبارة أخرى، في إطار سياقه الثقافي؛ فكل الأفكار،

---

(١) ك. نلووف، ك. نوريس، ج. أوزبورن، القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٢) فنسنت. ب. ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، مرجع سابق، ص ص ٤٠٧ – ٤٠٨.

وأنماط السلوك، والممارسات الاجتماعية، التي لها علاقة بالنص، كلها أمور لابد من الوقوف على علاقتها بالنص. وعلى هذا النحو فإن التاريخانية الجديدة تحاول قراءة النص الأدبي "في إطاره التاريخي والثقافي؛ حيث تؤثر الأيديولوجيا وصراع القوى الاجتماعية في تَشَكُّل النص، وحيث تتغير الدلالات وتتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية"(١). وعلى هذا النحو فإن التاريخانية الجديدة اتجاه نقدي لا يدرس الأدب في ضوء ظرفه التاريخي فحسب؛ بل يدرسه كذلك في ضوء علاقة هذا الظرف بقضاياه الثقافية وملابساته الحضارية.

وعلى القارئ عند التاريخانيين الجدد كذلك، أن يقف عند ما تتعمَّد النصوص الأدبية الوقوف عليه، أو التعامل معه؛ لأن هذا يكشف للقارئ عمَّا ينطوي عليه التاريخ الثقافي لتلك النصوص من قمع، وما به من أزمات. لذا يؤكد بعض النقاد(٢) عناية التاريخانيين الجدد بتحليل عناصر البلاغة في النصوص الأدبية؛ وبالمجازات التي يستخدمها التاريخ، واختياراته بين الأنواع المختلفة من السرد، وبما تضيفه ظروف الحاضر من عناصر إلى الماضي.

وتفيد التاريخانية الجديدة من أفكار ميشيل فوكو؛ وهو ما يبدو، على سبيل المثال، من نظرتهم إلى التاريخ؛ التي يبدو فيها تأثرهم بفوكو. فالتاريخ عندهم يختلف عمن سبقهم، ويتفق، بدرجة كبيرة، مع نظرة فوكو إليه. ويذهب فوكو إلى أن التاريخ ليس، كما ذهب سابقوه، سلسلة متوالية من الأحداث، التي تسير في خط مستقيم؛ بل هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل، في فترة تاريخية محددة. وينظر فوكو إلى الفترات التاريخية على أنها "صراعات قوى تترك أثرها على كل الإنتاج الفني في عصرها"(٣).

---

(١) ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٢م، ص ٨٠.

(٢) راجع: ك. نلووف، ك. نوريس، ج. أوزبورن، القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) ستيوارت سيم، و بورين فان لوون، أقدم لك النظرية النقدية، ترجمة: جمال الجزيري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٤٢.

وتتفاعل العوامل المتعددة التي تُشَكِّل تاريخ فترة محددة، عند فوكو، وفقًا لمبدأ محدد؛ تُشكِّل كل حقبة تاريخية أفكارها وفقًا له، وتعمل جاهدة على حماية هذه الأفكار. ووفقًا لهذا المبدأ يتم تحديد المقبول أو غير المقبول، من الأقوال أو الأفعال، في هذه الفترة التاريخية المحددة. وهذه القيود نابعة عند فوكو "مما يسميه: شفرات الثقافة؛ تلك القوانين المؤثرة، بشكل لا واعٍ، في صيرورة المجتمع ومنتجاته الثقافية"(١). وعلى هذا النحو فإن تدوين تاريخ الفترة الزمنية الواحدة، قد يختلف من عصر إلى آخر؛ تبعًا لاختلاف المبدأ المحدد ذاته، من عصر إلى آخر.

كما أفاد التاريخانيون الجدد كذلك من فكرة (القوة)، الأثيرة لدى فوكو؛ إذ تستند الثقافة عنده على القوة في فرض هيمنتها على أفرادها؛ من خلال وضع معايير ينبغي الالتزام بها، وتفرض الثقافة هذه المعايير على أفرادها من خلال القوة. ويبدو ذلك بوضوح في "الهيمنة التي يمارسها، في حقل معرفي أو مهني، أصحابُ ذلك الحقل، على أهلية المتحدث، وصحة خطابه ومشروعيته"(٢).

وعلى هذا النحو يبدو واضحًا الفرق بين التاريخ عند كل من التاريخية القديمة والتاريخانية الجديدة؛ فبينما ترى التاريخية القديمة أن التاريخ هو مجرد خلفية للأدب، أو شارح له، وأن الأهمية الكبرى للأدب؛ ترى التاريخانية الجديدة أن التاريخ والأدب يقعان في منزلة واحدة من الأهمية، ولا أفضلية لأحدهما على الآخر، وأن التاريخ هو نفسه نص من النصوص كالأدب؛ فالتاريخ، عند التاريخانيين الجدد، أحد الخطابات التي يمكن رؤية العالم من خلالها، ولا تقل أهمية الخطاب التاريخي عندهم عن غيره من الخطابات الأخرى؛ كالخطاب الجمالي الذي يمثله الأدب. ولابد عند التاريخانيين الجدد، عند تفسير الأدب، من الوقوف على علاقة الخطاب الأدبي بالخطابات الأخرى. وبناء على هذا التصور فإن التاريخانيين الجدد يتعاملون مع النصوص الأدبية على أنها "متعددة الأوجه، أنشأتها أشكال

(١) ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص ١٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٦.

مختلفة من الخطاب الاجتماعي، تتقاطع مفرداتها؛ بحيث تُكَوِّن النص في النهاية"(١). الأدب إذن، عند التاريخانيين الجدد، نص يتصل، اتصالاً وثيقًا، بنصوص أخرى كثيرة، لابد لفهمه فهمًا صحيحًا من الوقوف عليها.

وقد بدأ ظهور التاريخانية الجديدة في أواخر السبعينيات من القرن العشرين، وكان من أبرز نقادها: ستيفن جرينبلات، ومونتروز. ويتفق نقاد التاريخانية الجديدة في عدد من الأفكار، أبرزها رفض الآلية التي اتبعتها المناهج التاريخية آنذاك في تحليل الأدب؛ فليس التاريخ، عند التاريخانيين الجدد، "نسقًا متجانسًا من الحقائق تمكن الإشارة إليه كمفسر للأدب، أو كقوة مهيمنة عليه، أو كحضور منعكس فيه، كما هو الحال في النقد الماركسي؛ بل إن النص الأدبي جزء من سياق تاريخي يتفاعل مع مكونات الثقافة الأخرى من مؤسسات ومعتقدات وتوازنات قوى، وما إلى ذلك"(٢).

ويؤكد جرينبلات قدرة الثقافة على الأخذ والعطاء، واستبدال قيم جديدة بأخرى قديمة. وينبغي للناقد التاريخي عنده أن يبحث عن القيم التي يحاول النص الأدبي دعمها، وأن يبحث كذلك عن الأسباب التي كانت وراء إعجاب القراء بنص من النصوص الأدبية، في فترة تاريخية محددة. وفي هذا السياق تنبغي الإشارة إلى تَصَوُّر جرينبلات "عن القوة البلاغية، التي تغذي أشكال التعامل مع المنتجات الثقافية: تطويعًا وتلاعبًا، وتفاوضًا وتحويلاً ومبادَلَةً، ما بين الحيز الجمالي، وحيز الخطاب المُعَبِّر بالضرورة عن مصالح"(٣).

---

(١) ك. نلووف، ك. نوريس، ج. أوزبورن؛ القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مرجع سابق، ص ص ١٠٠ – ١٠١.

(٢) ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص ٨١.

(٣) ك. نلووف، ك. نوريس، ج. أوزبورن، القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مرجع سابق، ص ص ١٠٥ – ١٠٦.

وعلى الناقد التاريخي كذلك، عند جرينبلات، أن يبحث عن الأبنية الاجتماعية الكبرى المرتبطة بذم سلوكيات بعينها في النص الأدبي أو مدحها. ووفقًا لهذا التصور فإن التاريخانية الجديدة تستنطق "حالة صمت هائل وقمع شديد، فرضته الآليات الاجتماعية المصطنعة... لفترات زمنية طويلة؛ بدعوى الحفاظ على ما اعتبرته أوضاعًا طبيعية"(١). ويرى جرينبلات كذلك أن على الناقد التاريخي أن يلاحظ كيف يمكن للأدب أن يكون تمثيلاً قويًّا لحركة النمو داخل المجتمع؛ وذلك بالبحث عن الآلية التي أمكن للأدب من خلالها استيعاب ثقافة حقبته التاريخية، بصورة جيدة. ومن هذه الناحية يؤكد جرينبلات، على حد تعبير ستيوارت سيم، وبورين فان لوون(٢) أن الأدب في عصر النهضة كان مفتونًا بصراعات القوى في عصره.

وعلى القارئ كذلك عند جرينبلات أن يحاول إعادة بناء الثقافة التي يتضمنها النص؛ للوقوف على الدور الذي أسهم به هذا النص في نمو هذه الثقافة وتغييرها. وفي هذا السياق يؤكد جرينبلات، على حد تعبير ميجان الرويلي وسعد البازعي، أن القارئ، على هذا النحو، يحاول "استعادة القيم الثقافية التي امتصها النص الأدبي؛ لأن ذلك النص، على عكس النصوص الأخرى، قادر على أن يتضمن بداخله السياق الذي تَمَّ إنتاجه من خلاله، وسيمكن؛ نتيجة لهذا، تكوين صورة للثقافة"(٣).

وللتاريخانيين الجدد تصورهم الخاص عن الثقافة؛ فهي عندهم مرنة إلى حد كبير يسمح لها بأن تتقبل قيمًا جديدة، خلال فترة من الزمن، استجابة لحاجة المجتمع لما هو جديد. وعلى هذا النحو فإن الثقافة، عند التاريخانيين الجدد، تحافظ على ذاتها من خلال فرض الضوابط والقيود؛ لكنها في الوقت ذاته، تحاول تعديل

(١) ك. نلووف، ك. نوريس، ج. أوزبورن، القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) راجع: ستيوارت سيم، وبورين فان لوون، أقدم لك النظرية النقدية، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٣) ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص ٨٠.

ذاتها بصفة مستمرة؛ من خلال المرونة التي تتيح لها أن تستبدل ببعض القيم الثقافية السائدة قيمًا أخرى جديدة. والنص الأدبي، عند التاريخانيين الجدد، يعكس القيود أو القيم التي تحاول الثقافة أن تفرض على أفرادها الالتزام بها، كما أنه – أعني النص الأدبي – يعكس في الوقت ذاته، القيم الجديدة التي تحاول الثقافة إقرارها؛ تلبية لحاجة المجتمع لما هو جديد. ولا يهتم جرينبلات، على سبيل المثال، "بالقيود البنائية الواسعة النطاق، التي تكمن في التشكيل الاجتماعي المستديم، قدر اهتمامه بالصراعات والتناقضات المعنية، التي تُولِّدها تلك القيود عند كُتَّاب محددين"(١).

والنص الأدبي الجيد، عند التاريخانيين الجدد، يمكنه أن يتَمَثَّل القيم الثقافية السائدة في المجتمع، كما يمكنه كذلك أن يتمثل محاولات الثقافة في إحلال القيم الثقافية الجديدة. ويمكن القول، بعبارة أخرى، إن النص الأدبي، عند التاريخانيين الجدد، يعمل على تأكيد القيم الثقافية السائدة، ومناهضتها في الوقت ذاته. ويضرب جرينبلات، على حد تعبير ستيوارت سيم، وبورين فان لوون(٢)، مثالاً على ذلك مسرحيات شكسبير التي تتصارع فيها الأيديولوجيات المتنافسة.

وتهتم التاريخانية الجديدة برصد التفاصيل التي أهملها المؤرخون ونقاد الأدب، بدعوى عدم أهميتها؛ فالوقوف على هذه التفاصيل يسهم بدور فاعل في الوقوف على العلاقات المعقدة بين أنماط الخطابات المختلفة، التي تتشكل الثقافة منها. ومن هذه الناحية حاكى كثير من النقاد، على حد تعبير ستيوارت سيم، وبورين فان لوون(٣)، منهج جرينبلات في وضع النصوص الأدبية، جنبًا إلى جنب، مع النصوص الأخرى غير الأدبية، عند دراسة مسرحيات شكسبير؛ إذ وضع، على سبيل المثال، تقرير الشرطة، جنبًا إلى جنب، مع مسرحية لشكسبير.

---

(١) فنسنت. ب. ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، مرجع سابق، ص٤٠٤.

(٢) راجع: ستيوارت سيم، وبورين فان لوون، أقدم لك النظرية النقدية، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٣) راجع: المرجع السابق، ص ١٤٣.

الإجراء التطبيقي:

ما الذي يمكن أن تنفعنا به هذه الأفكار التي تَقَدَّمت؛ حول التاريخانية الجديدة وأبرز آلياتها القرائية، في قراءة "خطط الغيطاني" لجمال الغيطاني، أو إعادة إنتاجها؟ هذا ما تحاول الدراسة الوقوف عليه في الصفحات التالية.

١- "خطط الغيطاني" ومحاكاة الواقع:

يوفر النص الأدبي؛ ومنه الرواية، عوالم تخييلية وإيحائية، تنطوي على قرائن، تدفع القارئ، في أحايين كثيرة، إلى الربط بينها وبين الواقع؛ وهو الأمر الذي يرتبط بفكرة المحاكاة، التي اعتادت التاريخية القديمة الاستناد عليها، عند تفسير النصوص الأدبية.

غير أن التاريخانية الجديدة رفضت فكرة المحاكاة؛ سالفة الذكر، وأكدت أن النص الأدبي، بوجه عام، ليست وظيفته محاكاة الواقع أو عكسه؛ فالواقع الموجود في النص الأدبي هو واقع ملفوظ أو لغوي؛ أي أنه، بعبارة أخرى، أثر للواقع، وليس هو الواقع ذاته.

وعلى هذا النحو فإن ما يرد في النص الأدبي من إحالات خارج النص ذاته، هي عند التاريخانيين الجدد، إحالات ترتبط بالإبداع الأدبي، أكثر من ارتباطها بالإحالة على الواقع الخارجي؛ فهذه الإحالات ترتبط بالطريقة التي يتم بواسطتها تشييدها في الأدب، على نحو يجعل الواقع – بإحالاته المتنوعة – والأدب عنصرين لا ينفصلان؛ هنا يغدو الواقع في الأدب إمكانية جمالية، وليس واقعًا ماديًّا. بعبارة أخرى يمكن القول: إن النص الروائي يحيل القارئ على واقع يصنعه المبدع بطرائق فنية، ولا ينقل المبدع هذا الواقع الفني، بل يرويه؛ ومن ثَمَّ يصير هذا الواقع "فنًّا يسمح متخيلُه بقول غير المرئي، المختلف"(١).

(١) يمنى العيد، الرواية العربية؛ المتخيل وبنيته الفنيه، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠١١م، ص ٨.

إن الواقع في النص الأدبي ليس هو الواقع المادي عينه؛ بل هو افتراض لواقع تَشَكَّل بفعل اللغة، هو إذن واقع لغوي (كتابي)، يوهم بمحاكاة واقع غير لغوي (غير كتابي). وهذا يعني، عند التاريخانيين الجدد، أن الكتابة حين تحاكي الواقع، فإن هذا لا يعني أنها _ أي الكتابة _ والواقع، متطابقان بدرجة تامة.

إن النص الأدبي، بوجه عام، يتناول الواقع؛ بشخوصه وأحداثه وفضاءاته، تناولاً فنيًّا، يُعيد من خلاله صياغة هذا الواقع، وإعادة هيكلة العلاقات بين عناصره، وفقًا لشروط تفرضها طبيعة كل من النص والقارئ. وبناء على ذلك يمكن القول: إن النص الأدبي عملية إبداعية يؤكد فيها الأديب حضوره بوصفه ذاتًا مبدعة، وهو – أعني الأديب – حين "يشتغل على مادة الحكي، يقدم تجربته الفنية، وموقفه الفني من الزمن"(١).

وعلى هذا النحو تغدو الوظيفة المرجعية في النص الأدبي وظيفة ثانوية، بينما يُمَثِّل السياق؛ بوصفه مؤشرًا لغويًّا، عاملاً رئيسًا، يُعين على التواصل المُنتج بين القارئ والنص؛ فالسياق يدفع القارئ إلى تكوين أفق توقع يتصل بتلقي النص الأدبي؛ وهو ما يُعين القارئ على خلق إيهام ممكن للواقع، أو كسر هذا الإيهام.

على أن الربط بين الواقع في النص وسياقه، أمر يؤكد أن أي نص أدبي، لابد أن يستحضر الواقع، وأن يتعامل معه، ليس بوصفه واقعًا ماديًّا؛ كما سبق وأن ذكرت، بل بوصفه نصًّا من نصوص الثقافة المنغرسة في هذا النص، والتي لا يكتمل فهم النص دون الوقوف عليها.

وحين يستدعي الغيطاني فن الخطط؛ فإنه لا يستدعي هذا الجنس المنقرض، من أجل محاكاته، أو تقليده، أو السير في الإبداع على منواله؛ بل يستدعيه للأخذ والرد. إن الغيطاني _ بعبارة أخرى – يتحاور مع فن الخطط، مراعيًا المسافة التاريخية الفاصلة بين العصر المملوكي، الذي مَثَّلَ مناخًا مُحَفِّزًا على إنتاج الخطط

(١) سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي؛ النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١م، ص ص ٧٢ – ٧٣.

وازدهارها، وعصر جمال الغيطاني، الذي لم يعد فيه للخطط وجود يُذكر. وبناء على هذا يمكن القول: إن الغيطاني يحاول من خلال خططه "تحقيق شكل فني تجريبي، يقوم على أساس تحطيم بنية الشكل التقليدي في الكتابة الروائية، وجعلها قابلة لعدة تحولات... تباشر الانزياح والخروج عن المواصفات الخطية المتعارف عليها في هذه الكتابة"(١).

ورغم أن هناك تقاربًا ملحوظًا بين فن الخطط، وما كتبه جمال الغيطاني في هذا النص؛ من اتكاء "خطط الغيطاني"، في بعض مواضعها، على الاستناد في إعداد الأخبار على المشاهدة، أو السماع، واحتفائها، أحيانًا، بأسلوب الإطناب، وإيرادها كثيرًا من الحكم أو الأشعار، وغير ذلك، فإنه رغم ذلك التقارب، تبدو اختلافات واضحة بين "خطط الغيطاني" وفن الخطط؛ منها _ على سبيل المثال – أن فن الخطط كانت غايته حفظ التاريخ من العبث، من خلال نقله إلى الأجيال القادمة كما هو؛ بهدف الإخبار والاعتبار؛ أما "خطط الغيطاني" فإن التاريخ فيها ليس تاريخًا ماديًّا أو واقعيًّا ينبغي نقله كما هو؛ بل هو تاريخ لغوي (كتابي) يعيد الغيطاني إنتاجه في قالب لغوي أدبي؛ يحتاج لفهمه قارئًا واعيًا.

وعلى هذا النحو فإن ما يرد في "خطط الغيطاني" من أحداث، أو حكايات، أو أخبار، أو غير ذلك، مما قد يوهم بواقع مادي محدد، ليست هكذا في "الخطط"؛ إذ لا تتقيد "خطط الغيطاني" بسِيَرِ الأشخاص الفعليين، والتواريخ الحقيقية؛ أي أنها تشيِّد واقعًا خاصًّا يغاير، تمام المغايرة، الواقع الفعلي المادي الذي التزم به كُتَّاب الخطط. إن "خطط الغيطاني" تخلق واقعًا يستند على اللغة التي ترمز إلى الواقع أكثر مما تحاكيه أو تنقله. وأي تشابه أو اختلاف يرصده القارئ بين الواقع المتخيل في "خطط الغيطاني" والواقع الفعلي أو المادي، تدخل كلها ضمن التأويلات التي

(١) بشير القمري، شعرية النص الروائي؛ قراءة تناصية في كتاب التجليات، دار البيادر للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ١٩٩١م، ص ٢٤.

تحتمل التعدد والاختلاف بين القراء. وهي اختلافات ترجع إلى الخلفيات المتنوعة والمختلفة للقراء، التي تضفي بظلالها، دون شك، على تأويلاتهم.

إن الغيطاني، حين يتناول الواقع في "خططه"؛ إنما يتناوله بوصفه _ أعني الغيطاني _ أديبًا، وليس مؤرخًا؛ لذا ينبغي على القارئ مراعاة ذلك، عند محاولته فهم هذا الواقع أو تفسيره؛ وعليه فإن أي ربط بين واقع "خطط الغيطاني" وأي واقع آخر، هو أمر احتمالي، وليس يقينيًّا؛ أي أنه يتسع لكثير من التأويلات المحتملة. إن هذا _ دون شك _ يفتح الواقع المُتَخَيَّل في "خطط الغيطاني" على سياقات متنوعة، ودلالات متعددة، تمنح النص التجدد والاستمرار.

ومما يؤكد ذلك في "خطط الغيطاني"، السياق العجائبي الذي يُغَلِّفُ به الغيطاني كثيرًا من الشخوص، والأماكن، والأحداث، والأشياء، وغير ذلك، مما يرد ذكره مُبْهَمًا غامضًا، لدرجة يصعب معها الربط المباشر بين عالم "خطط الغيطاني"، وعالم الواقع. ولا يستطيع القارئ فهم تلك الأمور المُبْهَمة إلا بعد محاولات مستمرة من التأويل. كيف للقارئ أن يربط، على سبيل المثال، بين الوصف العجائبي لشخصية (الخضر)، والواقع المادي الذي يمكن أن تحاكيه هذه الشخصية، هذا أمر يصعب تحقيقه دون دخول القارئ في عمليات معقدة من التأويلات المحتملة المتعددة، التي تختلف باختلاف القراء، وتنوع خلفياتهم المعرفية. ولعل هذا الوصف الذي ذكره الغيطاني لشخصية الخضر تؤكد ذلك؛ فالخضر "يرتدي تحت الجلد حجابًا صغيرًا مستديرًا في حجم رأس الدبوس، يحميه من الرصاص والشظايا، والطلقة إذا ما وُجِّهت إليه من أدق المُصَوِّبين تصطدم به وترتد عنه. أكدوا أن أمه ولدته وهي في الستين، وأنه تكلم في اليوم السابع"(١).

(١) جمال الغيطاني، خطط الغيطاني، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٨٠م، ص ص ٣٧٩ – ٣٨٠. وسوف أقتصر، فيما بعد، حين الإشارة إلى هذا النص الأدبي، على ذكر اسمه (خطط الغيطاني)، يليه رقم الصفحة، دون ذكر اسم المؤلف (جمال الغيطاني).

وما الإطار المرجعي، أو الواقع المادي، الذي يمكن للقارئ أن يفهم في ضوئه دلالة العدد (سبعة)، الذي يتكرر كثيرًا في "خطط الغيطاني"، على نحو لافت، يدفع القارئ إلى الوقوف عنده؛ لفهم دلالته. إن هذا العدد لا يحيل في "خطط الغيطاني" على واقع مادي محدد، أو إطار مرجعي خارجي معين، ولا يستطيع القارئ فهم دلالة هذا العدد إلا من خلال ممارسة تأويلية غير يسيرة(١).

وتنطوي "خطط الغيطاني"، أحيانًا، على استدعاء لبعض الأشخاص، أو الأماكن، أو الكائنات، أو الأحداث، أو غير ذلك مما قد يتوهَّم القارئ ارتباطه بواقع محدد: تاريخي، أو ديني، أو أسطوري، إلخ. ورغم أن القارئ، حينئذ، يمكنه الربط بين عالم "خطط الغيطاني" الكتابي أو اللغوي، والعالم الخارجي، المادي أو الواقعي؛ فإن السؤال الذي يظل ماثلاً أمام القارئ هو: ما دلالة هذا الاستدعاء؟ ولا شك أن الإجابة عن هذا السؤال سوف تختلف من قارئ إلى آخر؛ لتباين القراء في خلفياتهم القرائية، ومرجعياتهم المعرفية، التي يستندون عليها في تفسيراتهم للنصوص الأدبية؛ مما يؤكد أن الواقع المادي نفسه يتم تصوُّره أو تشييده من قِبَلِ القارئ، وأن ملامح هذا الواقع المُتَشَكِّل تختلف، دون شك، من قارئ إلى آخر؛ وهو الأمر الذي ينفي عن "خطط الغيطاني" فكرة المحاكاة الآلية للواقع المادي الخارجي.

ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" حول إحدى الشخصيات؛ وهي شخصية (سليمان)؛ فبعد أن تَفَشَّى الفساد في الخطط، جاءت

(١) تكرر العدد (سبعة) في "خطط الغيطاني" بصورة لافتة، أذكر منها، على سبيل المثال، ما جاء في قول الغيطاني: "جاء الأعداء منذ بداية القرن على دفعات ...وهددوا الخطط... وتسبب ذلك في نشوب عدة حروب، جرت على فترات شبه متساوية، معدل الفترة سبع سنوات، وأصبح يوجد شهيد من أهالي الخطط بين كل سبعة أشخاص". (ص ٢٩). وما جاء كذلك في قول الغيطاني: "إن الدكتور مجدي ... استطاع تجريد الضاحية من الحدائق السبع اللواتي كن مثار إعجاب الرحالة، وتحفة النظارة". (ص ٢٧٧). وغير ذلك كثير.

النبوءة بتوقع ولادة (سليمان)، من خلال تقرير ورد من مصادر موثوق بها، يؤكد "أن طفلاً وُلِدَ في شارع المفاجأة، وأن هذا الطفل سيكون له شأن خطير في الخطط، وانه سيغير أمورًا كثيرة طال ثباتها"(١). وقد أعقب هذه النبوءة محاولات متوالية من رموز هذا الفساد؛ لمنع تحقق هذه النبوءة؛ وذلك بإبادة كل المواليد الجدد، بعد حصرهم وجمع بياناتهم؛ إذ وجَّهوا "عدة نداءات إلى آباء وأمهات الأطفال الذين وُلِدوا في شارع المفاجأة؛ وذلك لتطعيمهم؛ ولتدوين بياناتهم"(٢). غير أن هذه المحاولات لم تمنع تحقق القَدَر؛ فقد أكدت التقارير "أن طفلاً واحدًا لا زال يعيش"(٣). إن شخصية (سليمان)، على هذا النحو، تستدعي لدى القارئ أكثر من واقع مادي، تحيل عليه، أو تشير إليه، مما ينفي عن "خطط الغيطاني" فكرة المحاكاة الآلية للواقع أو التاريخ؛ فهي قد تستدعي لدى القارئ واقعًا أسطوريًّا؛ يتمثل في شخصية (أوديب)، التي تنبَّأ بها العرَّاف، وأخبر بلعنتها(٤)، ورغم ذلك فشلت

(١) خطط الغيطاني، ص ١٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٣) نفسه، ص ١٦٥.

(٤) وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا (العَرَّاف) في أسطورة (أوديب)، هو نفسه (الراعي العجوز) في (خطط الغيطاني)، الذي تنبَّأ بما ينتظر (سليمان) في المستقبل. وإذا كان هذا (العَرَّاف) أخبر بلعنة ستتحقق على يدي (أوديب)، فإن هذا (الراعي العجوز) أخبر بخير كثير سيتحقق على يدي (سليمان)؛ وهو ما نجده في (خطط الغيطاني)، ص ص ٢٠٧ – ٢٠٨ ؛ فقد"اقترب سليمان الصغير من الراعي العجوز، كان يظنه أباه، قال: يا أبتاه، ما أرمي شيئًا بحجر إلا قتلته، قال الراعي: أبشر يا بُنَيَّ لن يغلبك أحد، عاد سليمان إلى الراعي العجوز: يا أبتاه، لقد دخلت بين الجبال فوجدت وحشًا، لم أخف منه، وقفت أمامه، وعرفت ما ينوي قوله لي. قال الراعي العجوز: أبشر يا بُنَيَّ، ستعرف كل حيوانات الخلاوي، ولن يؤذيك أحدها. عاد سليمان إلى الراعي العجوز: يا أبتاه، رأيت سوقًا داخل الخلاوي، فيه ما لَذَّ وطاب؛ لكنني البائع الوحيد، والمشتري الوحيد. قال الراعي العجوز: أبشر يا بُنَيَّ، سيكون عمار الخلاوي على يديك".

المحاولات المتعددة لإحباط تحقق تلك اللعنة. كما أنها؛ أعني شخصية (سليمان)، قد تستدعي كذلك لدى قارئ آخر، واقعًا دينيًّا؛ يتمثل في شخصية سيدنا (موسى) عليه السلام، التي برزت لفرعون في صورة رؤيا تهدد ملكه؛ فحاول جاهدًا عدم تحقيقها؛ بقتل كل الأجنَّة والمواليد؛ غير أن محاولاته جميعها باءت بالفشل. وأخيرًا فإن شخصية (سليمان) قد تستدعي لدى قارئ آخر الولادات الخارقة أو غير المألوفة لكثير من المخلِّصين (المنقذين) أو صانعي المخيال الشعبي والديني. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك؛ ما جاء في وصف ملابسات مولد شخصية (سليمان) في "خطط الغيطاني"؛ فقد وُلِدَ "بعد أربعين عامًا من العقم المتصل؛ حتى إن حمل أمه عُدَّ من الخوارق؛ بعد انقطاع كل أمل"(١). ولعل هذا قد يُذَكِّر القارئ بمولد سيدنا يحيى بن زكريا، عليهما السلام، وهو ما جاء في سورة مريم (الآيتان ٧،٨)؛ يقول تعالى: "يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سَمِيًّا. قال رب أنَّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرًا وقد بلغت من الكبر عِتِيًّا". وعلى هذا النحو فإن فكرة المحاكاة الآلية للواقع هنا تنتفي؛ لأن عالم "خطط الغيطاني" هنا يحيل على أكثر من واقع، وسيختلف حتمًا تحديد هذا الواقع من قارئ إلى آخر، وفقًا للخلفيات القرائية لكل قارئ. والأمر المهم الذي ينبغي ذكره هنا، أن الواقع، على هذا النحو، يُشَيِّده القارئ استنادًا على معطيات النص _ أعني "خطط الغيطاني" _ وخلفيات القارئ المتنوعة.

ولعل هذا يحدد طبيعة تلقي "خطط الغيطاني"؛ فهي تحتاج إلى متلقٍ غير متعجل، قادر على الربط بين عناصرها التي قد تبدو، للقارئ المتعجل، متفرقة ولا رابط بينها. ذلك أن "خطط الغيطاني" بما تنطوي عليه من أسوار وأبواب ومداخل، وغير ذلك مما قد يوحي بالواقع، ترتبط فيما بينها ارتباطًا وثيقًا، يحتم على القارئ البحث عن العلاقات التي تربط بين هذه العناصر؛ وهو ما يمكن فهمه من قول الغيطاني: "السور الأول؛ ويضم باب الأبواب، وفي البداية مدخل به منمنمات،

(١) خطط الغيطاني، ص ١٦٣.

ويبدو للناظر المتعجل أنه لا علاقة له بما سيلي ذلك"(١). بل إننا في بعض مواضع "خطط الغيطاني" نجد عَرْضًا لواقع يصعب على المتلقي فهمه؛ دون الدخول في عمليات معقدة من التأويل، وقراءة أجزاء النص بعضها في ضوء بعض؛ ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك بما جاء في "خطط الغيطاني" من حديث عن واقع تتشَعَّب فيه "الجذور في الهواء، وتموت إذا تغلغلت في باطن الأرض، تختنق الأسماك في الماء، وتمرح في الفراغ"(٢).

وحين يستدعي الغيطاني في "خططه" واقعًا اجتماعيًّا محددًا؛ يتصل بمسألة تأخر الزواج لدى الإناث؛ فإنه لا يستدعي هذا الواقع لمحاكاته، أو لإقراره؛ بل يستدعيه محاولاً إعادة صياغة العلاقات بين عناصره، مع إتاحة الفرصة للقارئ للمشاركة كذلك في إعادة صياغة تلك العلاقات. فقد جاء في "خطط الغيطاني" عن إحدى البنات: "إنها سيئة الحظ؛ لم تتزوج. بعد عبورها الخامسة والعشرين نحفت، وظهرت تجاعيدٌ على وجهها... أحبها صبي جزار، لكنها لم ترْض به، ولم تحْن عليه؛ لأنها رغبت الزواج من شاب يحمل مؤهلاً عاليًا؛ خريج كلية التجارة؛ شعبة المحاسبات"(٣). إن من ينعم النظر في وصف الغيطاني تلك الفتاة التي تأخر زواجها بأنها سيئة الحظ، يراه وصفًا لا يستقيم إلا بعد تأويله؛ وإلا فكيف يتفق سوء حظ تلك الفتاة مع إصرارها على الزواج ممن تتوافر فيه شروط بعينها؛ قامت هي بتحديدها سلفًا في من تود الارتباط به: شاب، يحمل مؤهلاً عاليًا؛ خريج كلية تجارة، شعبة المحاسبات. وإذا تعذَّر ذلك ترفض الزواج. إن الغيطاني هنا يحاول أن يطرح على القارئ تلك المسألة؛ ليشاركه الرأي حول أسبابها الحقيقية؛ ففي حالة تلك الفتاة، هل يكون تأخر زواجها راجعًا إلى سوء حظها، أم إلى سوء تفكيرها، وعدم مرونتها؟

---

(١) خطط الغيطاني، ، ص ٧.

(٢) نفسه، ص ١٨٣.

(٣) نفسه، ص ١٦.

وتطرح "خطط الغيطاني" على القارئ أسئلة تتعلق بالواقع؛ ليس بقصد محاكاته؛ بل بقصد دفع القارئ إلى إدراك هذا الواقع؛ إدراكًا واعيًا؛ يقف وراء هذا الواقع، ويتجاوز الإدراك الآلي له. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" من إجابات متباينة لسؤال؛ هو: لماذا تبدو قامة الإنسان منتصبة؛ دون غيره من سائر الحيوانات؟(١). وقد جاءت الإجابات عن هذا السؤال متباينة؛ منها: لأن للإنسان عمودًا فقريًّا مستقيمًا. ومنها: حتى يستطيع الإنسان النظر إلى الأمام. ومنها كذلك: لأن الإنسان يمشي على قدمين؛ بينما يمشي الحيوان على أربع. وغير ذلك من إجابات(٢). إن قامة الإنسان المنتصبة واقع اعتاده الإنسان؛ الذي ربما لم يخطر بباله، طيلة حياته، هذا السؤال، الذي تحتاج إجابته إلى تَعَمُّق هذا الواقع؛ لإدراك أبعاده إدراكًا جديدًا.

ويطرح الغيطاني في "خططه"، أحياناً، ما قد يوحي بمحاكاة واقع معين، يتصل بشخص محدد؛ غير أن مَنْ ينعم النظر يلاحظ أن هذا الواقع لا يمسُّ فردًا بعينه؛ بل يمسُّ عددًا من أفراد الثقافة. ولعل هذا يصرف اهتمام القارئ نحو التفكير فيما وراء هذا الواقع. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" في وصف شخص "يهوى تَكَبُّد المشاق في سبيل أشياء ميسورة تمامًا. تحت بيته بَقَّالٌ كبيرٌ؛ لكنه يقود سيارته ليشتري الجبن الأبيض من بَقَّال صغير في منطقة نائية. بالقرب منه خُضَرِيٌّ يَمُدُّ المنطقة كلها؛ لكنه يذهب إلى خُضَرِي يبعد عنه حوالي عشرين كيلو مترًا. لا يتعامل مع تُجَّار بعينهم؛ بل يختار الأبعد. حار الأستاذ... هل تُخفي الخاصية أمرًا غامضًا؟"(٣). إن هذا السلوك ليس خاصًّا بهذا الفرد وحده؛ ولعل هذا ما دفع (الأستاذ) هنا نحو البحث عمَّا وراء هذا السلوك الغامض.

---

(١) خطط الغيطاني، ص ٣٣.

(٢) راجع: نفسه، ص ٣٤.

(٣) نفسه، ص ص ٧٨ – ٧٩.

كما تطرح "خطط الغيطاني" كذلك تصوُّرًا عن الواقع نفسه الذي يمكن للأدب محاكاته؛ وهو تصوُّرٌ يتصل بالإنسان نفسه؛ الذي يتمحور حوله الأدب؛ فيما يمكن أن نطلق عليه (أنسنة الأدب)؛ فكل حديث في الأدب؛ حتى وإن بدا بعيدًا عن الإنسان؛ هو في الحقيقة يدور حول الإنسان؛ فالحديث في الأدب عن الطبيعة مثلاً؛ هو حديث عن الإنسان في علاقته بالطبيعة التي يحيا في كنفها(١)، وهكذا. وإذا كان الإنسان ذاته يصعب فهمه بصورة تامة حتى لأقرب الناس إلى نفسه؛ فإن أي تناول لواقع هذا الإنسان، أو ــ بعبارة أوضح ــ أي محاولة لمحاكاة هذا الواقع، سوف تكون ناقصة. هذا ما نطالعه في "خطط الغيطاني"، على سبيل المثال؛ ففيها "أنه ما من إنسان يمكن أن يحيط علمًا بإنسان آخر، وبين أقرب الناس تظل مناطق مجهولة، مستعصية على الاستكشاف"(٢).

وفي بعض مواضع "خطط الغيطاني" نجد واقعًا مغْرِقًا في الرومانسية؛ فيه اندماج تام بالطبيعة، يتجاوز مستوى المحاكاة، وفيه هروب من البشر إلى الطبيعة، التي تصبح آنئذٍ واقعًا بديلاً عن واقع البشر؛ وهو واقع يأنس به الإنسان؛ فيناجيه ويفهم لغته؛ فهذا أحد شخوص "خطط الغيطاني" : "مشغول عن الخلق بمناجاة السماء، ومئذنة المسجد تتأهب لولوج الليل الآتي... مَنْ يدري... ربما كان لهذه الأبنية لغة غامضة... تبدي الجدران رأيها بما يجري داخلها، وتتململ لكثرة ما جرى ولطول وقفتها؛ فتنهار طواعية، مَنْ يدري؟ ألا تتألم الأشجار من حَزِّ المنشار، وصوت الرياح؟ هل من المعقول أنه لا يعني شيئًا؟ ونظرات الحيوان، ألا

(١) ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" (ص ص٩٠-٩١) من حديث عن (الندى)، وهو أحد عناصر الطبيعة؛ ففي "كل يوم يتجمع الندى فوق صخور مرتفعة، وزجاج نوافذ، وقضبان حديدية، وأسوار حدائق، وعلى أطراف الزهور المنسية، وما الندى إلا دموع... يذرفها الزمن على ما يجري في الدنيا". فالندى هنا هو دموع يذرفها الزمن؛ حزنًا على ما يجري في الدنيا، التي استخلف الله الإنسان فيها، وسخر كل عناصرها لخدمته.

(٢) خطط الغيطاني، ص ٧٢.

تُضْمِر رأيًا فيما تراه؟"(١). والسؤال الذي يُثار أمام القارئ، حين يطالع هذا الواقع الرومانسي، سالف الذكر: ما هو الواقع المادي الذي يحاكية هذا الواقع الرومانسي؟ أو بعبارة أخرى أكثر دقة: ما الواقع المادي الذي تحاكيه اللغة هنا في "خطط الغيطاني"؟

وتطرح "خطط الغيطاني" أمام القارئ إشكالية تتصل بدلالات الأحلام؛ التي لا يصل إليها القارئ إلا بعد محاولات مستمرة من التأويل؛ وهو الأمر الذي يصعب معه الربط بين هذه الأحلام وواقع مادي بعينه. هنا يصبح للحلم الواحد أكثر من واقع مادي قد يظن القارئ أنه يحاكيه، وهو واقع يختلف، كما هو واضح، من قارئ إلى آخر، وفقًا لاختلاف دلالة الحلم الواحد من قارئ إلى آخر. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" من أن أحد شخوصها رأى "حلمًا غريبًا؛ رأى نفسه في مكان خلوي، أرضه من صخر، ناءٍ عن الدنيا كلها، وفوقه في الفراغ وقف اثنان، ملامحهما غريبة، كانا يوجهان الحديث إلى جهة ما في الفضاء الفسيح: إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة. لم يجبهما أحد. كررا: إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة. طارده الحلم، رآه مرتين في ليلة واحدة"(٢).

٢ - " خطط الغيطاني" وظرفها التاريخي:

يهتم التاريخانيون الجدد، عند دراسة النص الأدبي، بالبحث عن الظرف التاريخي الذي نشأ فيه هذا النص، أو انبثق منه؛ فلا يمكن دراسة النص الأدبي عندهم بمعزل عن ظرفه التاريخي؛ فمعرفة هذا الظرف عندهم تسهم، بدرجة كبيرة، في فهم النص، بل إن كثيرًا مما يرد في النص قد يبدو أمره ملغزًا أمام القارئ، ما لم يكن هذا القارئ على دراية كافية بالظرف التاريخي الذي نشأ النص في إطاره.

(١) خطط الغيطاني، ص ص ١١٩ – ١٢٠.

(٢) نفسه، ص ٢٠٣.

وقد صدرت الطبعة الأولى من "خطط الغيطاني" عام ١٩٨٠م. ومن ينعم النظر في هذا التاريخ يلاحظ أنه يرتبط بظرف تاريخي مصري؛ يتمثل في هزيمة عام ١٩٦٧م، ومرورًا بحرب الاستنزاف، ثم انتصارات أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣م، وما أعقب تلك الانتصارات من تحولات متعددة في مسار التاريخ المصري؛ لعل من أبرزها معاهدة كامب ديفيد عام ١٩٧٩م، وسياسة الانفتاح الاقتصادي الذي انتهجتها مصر في تلك الحقبة التاريخية.

ولا شك في أن هذا الظرف التاريخي ماثل بقوة في "خطط الغيطاني". ولا شك كذلك في أن تلقي هذا النص سيفتقر كثيرًا إلى الدقة ما لم يكن المتلقي على دراية تامة بملابسات هذا الظرف التاريخي؛ ليتمكن من الوقوف على أثر هذا الظرف التاريخي في هذا النص. كيف لنا أن نفهم – على سبيل المثال – قول راوي "الخطط"، مخبرًا أنه يلجأ إلى الله "وزمان الخطط الحلو يولي، وذبولٌ يدرك الزمن العفي، اخضرار الخطط تسري إليه صُفْرة، وأجنَّة أيام الجهامة تولد بلا راد أو مانع، في أفق الخطط تلوح علامات النوازل"(١). إن السؤال الذي نطرحه على أنفسنا ونحن نقرأ هذا الكلام: عن أي زمان يتحدث الراوي؟ ولن نستطيع الإجابة عن هذا السؤال ما لم نكن على دراية تامة بالظرف التاريخي الذي نشأت فيه "خطط الغيطاني؛ وهو ظرف يدلنا على أن الزمان هنا هو نهاية الستينيات من القرن العشرين؛ حين تعرضت مصر لهزيمة عام ١٩٦٧م. تلك هي النازلة التي لاحت علاماتها في أفق الخطط، كما يذكر راوي "الخطط". ويبدو أن الذين هزموا (الخطط) هنا؛ هم أنفسهم الأعداء الذين يتحدث عنهم راوي "خطط الغيطاني" بقوله: "ومن حين إلى آخر يُعْلَن عن إمساك جاسوس، أو عميل، أو أحد أفرادهم. يمكن القول إنهم؛ خلال القرن الأخير، شكلوا الخطر الحقيقي على الخطط، بل الخطر الوحيد"(٢).

---

(١) خطط الغيطاني، ص ٨.

(٢) نفسه، ص ٣٠.

وليس تحقيق النصر يسيرًا؛ فهو يحتاج إلى بذل الجهد، وحُسْن التخطيط؛ وهو ما حدث في مصر بعد هزيمة عام ١٩٦٧م؛ إلى أن تحقق النصر على العدو، بفضل الله تعالى. ولعلنا نجد في "خطط الغيطاني" ما يؤكد ذلك؛ ذلك أن تغيير الواقع من الهزيمة إلى النصر لم يتم مصادفة؛ "إن التغيير لا يتم تلقائيًّا، تثبت الأوضاع بمقدار ما يُبْذَل من جهد لتثبيتها، ولكن ليس إلى الأبد، وتتغير الظروف بمقدار ما يُبْذَل من جهد لتغييرها إلى الأفضل دائمًا، والنتيجة تدوم بمقدار ما أُنْفِقَ من عرق في الوصول إليها"(١).

وإزاء هذا الظرف التاريخي ظهرت أسئلة فكرية ونقدية لمراجعة مفهوم الإبداع الأدبي، في محاولة للوقوف على السبل القادرة على النهوض بالأدب العربي؛ ليصبح قادرًا على مسايرة المتغيرات السريعة والمتلاحقة التي اعترت العالم العربي بوجه عام، ومصر بصفة خاصة.

ولعل من أبرز تلك الأسئلة: كيف يمكن أن يحقق الأدب العربي خصوصيته؟ وهل اللغة العربية وحدها كافية لمنح النص هوية عربية؟ وهل الأشكال الأدبية الحديثة؛ ومنها الرواية، مناسبة لتحقيق خصوصية للنص الأدبي العربي؟ وهل السبيل إلى تحقيق هوية النص العربي هو التمسك بالأشكال الأدبية الغربية؟ أم التحمس للأشكال الأدبية العربية؟ أم أن هوية النص الأدبي العربي يمكن أن تتحقق من خلال الجمع بين الأشكال الأدبية العربية والأخرى الغربية؟

ويبدو من "خطط الغيطاني" أن صاحبها يميل، إلى هذا المقترح الأخير، الذي يرى أن هوية النص الأدبي العربي، يمكن أن تتحقق من خلال المزج بين الأشكال العربية والأخرى الغربية. ومن أجل ذلك اختار جمال الغيطاني، في تلك الحقبة التاريخية، تحديدًا، أن يكتب نصًّا إبداعيًّا حديثًا، في شكل أدبي يجمع فيه بين (الخطط) وهي لون قديم، بدأ ظهوره في مصر مع قيام الدولة المملوكية، ولم يعد له

(١) خطط الغيطاني، ص ص ١٥٠ – ١٥١.

وجود في العصر الحديث. و(الرواية) وهي لون أدبي حديث. هذا ما لاحظته، ولاحظه كذلك بعض النقاد؛ منهم، على سبيل المثال، فخري صالح، الذي ذهب إلى أن جمال الغيطاني يستخدم "تقنيات سردية مستعارة من تراث السرد العربي القديم؛ من ألف ليلة وليلة، والمقامات، وبدائع الزهور لابن إياس، وكُتُبِ الخطط، فيما يبدو طموحًا لتطعيم شكل الرواية الأوروبية بعناصر سردية عربية؛ لتحقيق نوع من الخصوصية للرواية العربية"(١).

ويمكن القول: إن "خطط الغيطاني" تنطوي على محاولة متكررة لخلق شكل فني جديد للرواية، يستمد عناصره من التراث العربي. أو هي – أعني الخطط – بعبارة أخرى، محاولة لتمثُّل لون سردي قديم؛ هو "الخطط"، وتحويله ليصبح ذات حمولات فكرية جديدة، في سياق جديد. وعلى هذا النحو فإن "خطط الغيطاني" ترتدي حُلَّة قديمة؛ هي "الخطط"، بهدف خلق نمط روائي جديد. وقد ذهب فخري صالح إلى أن استعارة عناصر شكلية من التراث السردي العربي يمثل رغبة في "توفير خصائص فنية تميز الرواية العربية، تتضامن مع حساسية جديدة لفهم الوجود والعالم"(٢).

وإذا كانت مصر تجاوزت هزيمتها في عام ١٩٦٧م، بما حققته من نصر في عام ١٩٧٣م؛ فإن الحفاظ على هذا النصر العسكري يستلزم الحفاظ على الهوية المصرية؛ وهو ما تؤكده "خطط الغيطاني"، في صور متعددة؛ منها على سبيل المثال، ضرورة الحفاظ على الهوية الحضارية لمصر، متمثلة في ما تركته تلك الحضارة من آثار، وما دوَّنته على جدران معابدها ومقابرها ومسلاتها من كتابات، أو رسوم دالة؛ وغير ذلك. إن الهزيمة الحضارية الناتجة عن فقد تلك الآثار، هي كالهزيمة العسكرية تمامًا. ومن هنا كان لابد من تضافر الجهود للحفاظ على تلك

(١) فخري صالح، في الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م، ص ١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨.

الهوية الحضارية، وقد جاء في "خطط الغيطاني" أن أحد شخوصها تمكن من الحصول على "كشف دقيق، يضم أسماء كافة المشتغلين بالتجارة في الآثار، وسرقتها وتهريبها، وتقليدها المُتْقَن"(١)؛ من أجل ملاحقتهم، ومنعهم من ممارسة ذلك. ومن صور الحفاظ على الهوية الحضارية لمصر كذلك تقدير جمال الطبيعة فيها، والحرص على صيانتها من العبث. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" من عَرْضٍ لواقع يعادي الطبيعة؛ وهو عَرْض يدفع القارئ نحو استنكار هذا الواقع ورفضه؛ فهذا أحد شخوص "خطط الغيطاني" وقد قام بتجريد الضاحية "من الحدائق السبع، اللواتي كُنَّ مثار إعجاب الرحَّالة، وتحفة النظَّارة، وهدفًا للمكروبين والعُشَّاق. لم يترك أحواض الزهور، وتماثيل الرخام، والجزر المستطيلة التي تتوسط الطرقات، والبرك الصناعية، والبِرْكة الكبرى التي حار عُتاة المهندسين في التوصُّل إلى مصادر تغذيتها بالماء"(٢).

وفي "خطط الغيطاني" صور متعددة تؤكد حرص المصريين على حفظ تاريخهم؛ وصيانته من الضياع أو الاندثار؛ فمن لا تاريخ له؛ فلن يكون له حاضر ولا مستقبل. وفي هذا الإطار ينبغي وضع "خطط الغيطاني"؛ فهي، من خلال مراجعتها للتاريخ، وحرصها المستمر على إعادة تقييمه، تسهم في الحفاظ على هذا التاريخ، وإزالة ما قد يعتريه من سوء فهم. ومن صور الحفاظ على التاريخ المصري ما جاء في "خطط الغيطاني" حول وجود "المتحف الرئيسي لحضارات الخطط؛ الفرعونية، والرومانية، والفارسية، والإغريقية، والعربية... ثم المتاحف المتخصصة... متحف الأثاث القديم... متحف حربي للأسلحة، وآخر للأزياء العسكرية... متحف للنادر من طوابع البريد... متحف لتطور زراعة القطن منذ دخوله إلى الخطط... أديرة وكنائس عتيقة، ومساجد يرجع عُمْر بعضها إلى ألف وأربعمائة سنة، وبيوت من العصر السلطاني كأنها بُنيت بالأمس، وبوابات

(١) خطط الغيطاني، ص ١٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٧.

عتيقة..."(١)، وغير ذلك. ومن صور حفظ التاريخ كذلك، صيانته من العبث أو التزييف؛ وهو ما نجده في "خطط الغيطاني"، على سبيل المثال، في التصدي لمحاولات بعض أفراد الثقافة طمس هوية الثقافة الشعبية، كما تبدو في الأمثال الشعبية، والسير الشعبية، إلخ؛ وذلك بغرض تشييد تواصل فَعَّال مع القارئ ليشارك في صيانة هذا التاريخ الشعبي من التزييف الذي قد يعتريه. وقد جاء في "خطط الغيطاني" أنه ظهرت مقالة مُطَوَّلة تبرهن على أن "التراث الحقيقي للخط لم يعرف الأمثال الشعبية، وأنها بدعة دخيلة، كذلك ملاحم عنترة، والهلالية، وذات الهمة، وعلي الزيبق، وسيف بن ذي يزن"(٢)؛ وهو ما تؤكد "خطط الغيطاني" عدم صحته.

٣ - " خطط الغيطاني" ومراجعة التاريخ:

ينطوي عنوان النص نفسه: خطط الغيطاني، على فكرة مراجعة التاريخ، أو محاورته؛ فالخطط؛ كما سبق أن أشرت، فن كتابي، ساد في حقب تاريخية معينة، وله أصوله أو تقاليده الفنية المحددة كذلك. وحين يستدعى الغيطاني هذا الفن القديم ليكتب في إطاره نصًّا روائيًّا حديثًا؛ فإنه يكشف بذلك ابتداءً عن رغبته في استدعاء القديم؛ وليس هذا الاستدعاء مقصودًا لذاته؛ بل هو مقصود من أجل محاورته، ومراجعته، وإعادة قراءته في سياق حديث. وبناء على هذا يمكن النظر إلى "خطط الغيطاني" بوصفه نصًّا "يضيء ويستشرف ويمارس، ضمنًا، النقد، دون أن يكون نقدًا، يفلسف الحياة دون أن يكون فلسفة، ويعيد النظر في التاريخ؛ تاريخنا، دون أن يكون تاريخًا"(٣).

---

(١) خطط الغيطاني، ص ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٢) نفسه، ص ٢٩١.

(٣) يمنى العيد، الرواية العربية؛ المتخيل وبنيته الفنيه، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠١١م، ص ٨.

ولا يكفّ الغيطاني في خططه عن مساءلة التاريخ، ومراجعته. وهي أسئلة تتراوح بين قبول التاريخ ورفضه، والأخذ منه والرد عليه. ولعل هذا يبرز الدور الذي يمكن لـ "خطط الغيطاني" أن تكون قد أسهمت به في نمو التاريخ وتغييره، أو لفت الانتباه إلى ضرورة مراجعته. وقد لاحظ هذا، على سبيل المثال، محمد بدوي؛ حين ذهب إلى أن "جمال الغيطاني يلتجئ إلى الموروث المدون؛ وبخاصة طرائق القص التاريخي... حيث يُضْحِي التاريخ قناعًا، ينظم انفعال مُنْتِج النص إزاء واقعه، ويمنحه إمكانات النظر إلى الواقع المعقد من زوايا متعددة"(١).

وعندما يطرح الغيطاني الأسئلة حول التاريخ؛ فإنه لا يسعى نحو تدوين التاريخ أو تسجيله، بل يحاول إعادة صنعه؛ بإبرازه، ليس في صورته الفعلية، بل في صورته المثالية التي ينبغي أن يكون عليها. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" في وصف أحد شخوصها بأنه: "لم يرتد الطربوش في العهد الملكي؛ الذي ساد الخطط أكثر من قرنين"(٢). إن الغيطاني هنا يتحدث عن العهد الملكي في مصر، الذي بدأ مع تولي محمد علي باشا الحكم، وانتهى بالملك فاروق مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. وليس حديث الغيطاني هنا مجرد حديث عن هذا العهد، وحِرْص أفراده على ارتداء الطربوش، إلخ؛ بل هو، إعادة لصنع هذا التاريخ، ومحاولة لقراءته قراءة جديدة؛ قراءة تؤكد أن شريحة أخرى من المصريين، بجانب الضباط الأحرار، كانت غير راضية عن هذا الحكم الملكي، الذي اقترن باحتلال الإنجليز لمصر، وبانتشار الإقطاع، إلخ. وهو ما يبدو هنا من رفض تلك الشخصية لارتداء الطربوش؛ أحد رموز الزي التي سادت مصر في العهد الملكي.

(١) محمد بدوي، الرواية الحديثة في مصر؛ دراسة في التشكيل والإيديولوجيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ص ٢٤.

(٢) خطط الغيطاني، ص ١٥.

وتبدو مراجعة التاريخ، أو بعبارة أخرى، اتهامه، في قول الغيطاني: "قيل في الزمن الآفل إن أهل الدنيا مضطرون إلى الخطط، يسافرون إليها، ويطلبون الرزق بها، أما أهلها فلا يطلبون الرزق في غيرها. أقول، وشجني يفوق كل الشجون، إن الأحوال ستمضي بعكس ذلك"(١). إن الغيطاني هنا يطرح واقعين تاريخيين متباينين، يذكر أحدهما، ويصفه بأنه كان في الزمن الآفل؛ أي الذي لم يعد له وجود. أما الواقع التاريخي الآخر فيسكت عنه، ويكتفي بالإشارة إلى أن الأحوال ستمضي خلافًا لما كان عليه الحال في هذا الزمن الآفل. ويرتبط الواقع التاريخي الأول، كما يذكر الغيطاني، بزمن كانت الخطط (مصر) فيه مقصدًا لطلب أهل الدنيا الرزق. وإذا استدعينا زمن كتابة "خطط الغيطاني"؛ وهو عام ١٩٨٠م، تبين لنا أن هذه الحقبة التاريخية تُعَدُّ البداية الحقيقية للواقع التاريخي الآخر، الذي سكت عنه الغيطاني، وهو واقع يرتبط بظاهرة سفر المصريين إلى الخارج لطلب الرزق. والغيطاني هنا لا يستدعي التاريخ ليبعث مناقبه، أو ليفخر بأمجاده؛ بل يستدعيه ليطرح من خلاله الصورة المثالية التي ينبغي أن يكون عليها التاريخ الحاضر. ولعل هذا يتضح حين يقابله الغيطاني بحقبة تاريخية أخرى سابقة عليه كانت الوظائف فيه متوفرة لمن يُتِم تعليمه؛ الجامعي، وما قبل الجامعي؛ وهو ما نجده؛ على سبيل المثال، في شخصية (خالد)؛ الذي يوَدُّ والده منه "أن يُتِم تعليمه حتى الجامعة؛ لكنه سيلتحق بمدرسة متوسطة؛ ليحصل على وظيفة سريعة"(٢).

وتتجسد فكرة إعادة صُنْع التاريخ في "خطط الغيطاني" من خلال شخصية (سليمان)؛ على سبيل المثال؛ إذ تتقاطع ملامح هذه الشخصية مع ملامح أبطال أسطوريين وتاريخيين ودينيين؛ من حيث إنها شخصية وُلِدت في ظروف غامضة، واقتحمت عالمها بصورة مفاجئة، وعملت جاهدة على رسم واقع جديد لأحداث عالمها، أو بعبارة أخرى، عملت على صنع تاريخ جديد بديل، يتم من خلاله إعادة

(١) خطط الغيطاني، ص ٨.

(٢) نفسه، ص ٣٩.

تشكيل الوعي بهذا العالم، وإعادة توزيع الأدوار بين أفراده؛ بما يضمن توازنه. وتبدو مواجهة (سليمان) للعالم، ومحاولة إعادة صنعه، منذ مولده؛ الذي جاء بإرادة إلهية مخالفة لنواميس الكون؛ ومرورًا بالإفلات من كل محاولات التخلص منه بإرادة إلهية كذلك(١)، ثم دخوله مرحلة مواجهة العالم؛ لإعادة صنعه؛ إذ كان تفكير (سليمان) موجَّهًا نحو محاولة تطهير (الخطط) من المفسدين.

والتاريخ، عند التاريخانيين الجدد؛ كما سبق أن ذكرت، هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل، في فترة تاريخية محددة. والتاريخ، على هذا النحو، يتسم بشيء من المرونة؛ فليس للتاريخ عند التاريخانيين الجدد، تسلسل منطقي يجعل له بداية ووسط ونهاية. إن الواقع أو التاريخ، وفقًا لهذا التصور، "تطور منطقي... ويمكن لهذا النسيج أن يعود إلى الوراء"(٢)؛ أي يصيبه شيء من الضعف؛ كما حدث للأدب العربي، على سبيل المثال، في بعض مراحله. وهذا يجعل لكل حقبة زمنية تاريخها الخاص؛ مما يتيح لأفراد الثقافة الواحدة، أن تتباين رؤيتهم لتاريخ ثقافتهم، في حقبه المختلفة؛ وفقًا لاختلاف هؤلاء الأفراد في استقبال تلك الحقب التاريخية المتنوعة، وأيضًا وفقًا لاختلافاتهم الفكرية أو الأيديولوجية؛ وسيدوِّن كل واحد منهم التارخ من منظوره الخاص. وهذا أحدهم: "حَمْلَقَ في أرض خلاء، فوق جانب منها أعمدة خشبية، وإطارات نوافذ قديمة، ومقابض أبواب، وألواح رخام. فوق جانب آخر درجات سُلَّم مُنْتَزَعَة، لم يتبق شيء. دمعت عيناه؛ لم يبكِ عيشًا ولَّى، أو نوافذ أَطَلَّ منها يومًا، أو درجات حبا فوقها؛ إنما بكى زمنًا لن يعود"(٣). وإذا كانت الإشادة هنا

---

(١) من هذه المحاولات، على سبيل المثال، ما كان من والده الذي انتقل به إلى "قريته الصغيرة الواقعة قرب سفح الجبل العظيم، والذي يضم منطقة الخلاوي؛ التي يضيع كل من يحاول اجتيازها، أو الزجّ بنفسه فيها، أسلم ابنه إلى شقيقه". (خطط الغيطاني، ص ١٦٤).

(٢) تيري إيغلتون، كيف نقرأ الأدب، ترجمة: محمد درويش، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م، ص ١٤١.

(٣) خطط الغيطاني، ص ٨٠.

بالتاريخ واضحة؛ والحزن على عدم إمكانية عودته جَلِيٌّ؛ فإن في "خطط الغيطاني" كذلك ما ينطوي على رؤية سلبية للتاريخ؛ لارتباطه لدى مَنْ يسجله، أو يدونه؛ بعُمْرٍ أضاعه الفقر، وبدَّدَه البؤس؛ فهذه (بخيتة)؛ أم خالد وإسماعيل، تذكَّرت "قريتها في جنوب الخطط، أثناء غسيلها الثياب، في جلستها وحيدة أمام الطشت، وبجوارها موقد الغاز، فوقها صفيحة الماء المغلي وصابون الغسيل، تغمض عينيها، تتذكر... سريان السحالي... ورائحة جلود القِرَب فوق ظهور السقَّائين، وقواديس الساقية... وماكينة الطحين، وعفريت يدمي الناس بثمار الدوم، وأمها التي سعت بين الأسواق تبيع الغلال، وجلوسها خلف الباب لتسنده في ليلة اشتدت فيها الرياح، يترقرق أسى في عينيها على ثروة الصبا المُبَدَّدَة"(١).

وتبدو مراجعة التاريخ في "خطط الغيطاني" كذلك في الإشارة إلى الموقف الذي ساد المشهد الأدبي العربي من الفن الروائي في بداياته؛ إذ كانت النظرة إلى الرواية نظرة سلبية؛ وهذا ما دفع بعض الروائيين العرب الرواد إلى أن يكتبوا في هذا الفن الجديد على استحياء. إن الغيطاني في "خططه" يراجع هذا التاريخ الثقافي؛ في جانبه الأدبي؛ ويربطه بما كان سائدًا آنذاك من الجهل بأهمية الفن الروائي، وما صاحبه من انتشار بعض الأفكار التي تربط هذا الفن بنشر قيم اجتماعية غير لائقة؛ كالإجرام والفساد. وهو ما يتضح في "خطط الغيطاني" من خلال أحد الشخصيات؛ وهو والد خالد؛ الذي ذهب "إلى وليٍّ صالح، طلب منه أن يُعِدَّ لابنه الأكبر حجابًا؛ يقيه الشرور والغواية، لقد رأى معه كتابًا مُلَوَّن الغلاف؛ رواية تُعَلِّم الإجرام والفساد، ما يتمنَّاه أن يُتِمَّ الولد تعليمه؛ حتى يلتحق بوظيفة يساعد نفسه بها؛ حتى لا يرى المُرَّ والهوان، الذي رآه هو في حياته. إن إسماعيل الصغير لا يرفع عينيه عن كُتُب المدرسة؛ لكن غرام ابنه بالروايات يقلقه"(٢). وواضح هنا أن ما يُقلِق الوالدُ غرامَ ابنه بالروايات؛ التي لا تجلب على صاحبها سوى اكتساب الإجرام

(١) خطط الغيطاني، ص ٨١.

(٢) نفسه، ص ٨٣.

والفساد؛ وهو ما دفع هذا الوالد للتوجه إلى أحد الأشخاص؛ ليكتب لابنه حجابًا؛ يقيه شرور الروايات وغواية قراءتها.

وإذا كان التاريخ، عند التاريخانيين الجدد؛ كما سبق أن ذكرت، هو نتيجة لتفاعل عدد من العوامل، في فترة تاريخية محددة؛ فإن منظومة المُثُل أو القيم، تشكل إحدى العوامل المؤثرة في تشكيل تاريخ الحقب المتنوعة في الثقافة الواحدة. وأي خلل في هذه المنظومة، سوف يؤثر سلبًا في تشكيل تاريخ تلك الحقب. هذا ما تؤكده "خطط الغيطاني"؛ حين تذهب إلى أن الخلل يعتري التاريخ ؛ حين "تتبدَّل القيم، وتنقلب المُثُل، ويتوه الماضي في المستقبل، ويضل الحاضر عن الحاضر، ويصبح الحماس لكل شيء بنفس الدرجة"(١).

وإذ كان لكل حقبة تاريخية منظومة مُثُلها أو قيمها، فإن هذه المنظومة نفسها تتغير من حقبة إلى أخرى. لذا يؤكد التاريخانيون الجدد مبدأ مرونة التاريخ، وتَبَدُّل منظومات مُثُله وقيمه من حقبة تاريخية إلى أخرى. وفي "خطط الغيطاني" ما يؤكد ذلك؛ فكم "تُبَدِّل الأيام ما يظنه قصار النظر ثابتًا، ويعتقد ضعاف البصر أنه مُستعصٍ على التغيير والتبديل، نفس الحروف تُشَكِّل كلمات المديح والسباب، ما يراه البعض مستحيلاً أراه ممكنًا"(٢).

وفي "خطط الغيطاني" استدعاء لحقبة تاريخية قديمة، لم تكن الشوارع فيها تُضاء بالكهرباء؛ بل كانت تُضاء من خلال مصابيح، يقوم بإشعالها ليلاً رجلٌ يصعد إليها من خلال سُلَّمٍ. ورغم عدم الإضاءة الكافية آنذاك فقد كان الحرص على القراءة واضحًا؛ حتى إن بعض الأشخاص كان ينتظر إضاءة تلك المصابيح؛ ليقرأ في ضوئها. وقد جاء في "خطط الغيطاني" أن أحد الشخوص كان "في كل يوم يجلس إلى بائع الكتب العجوز، يقرأ منذ الظهيرة وحتى نزول الليل، ينتظر حتى

(١) خطط الغيطاني، ص ١٠٩.

(٢) نفسه، ص ١٥٢.

مجيء الرجل الذي يحمل سُلَّمًا طويلاً ليشعل المصابيح، ثم يستمر في القراءة"(١). إن استدعاء الغيطاني لهذا التاريخ هنا هو استدعاء ذو دلالة؛ وهي دلالة تنطوي على مساءلة التاريخ، أو اتهامه؛ فرغم قلة الإمكانات المادية وضعفها، كان الحرص قديمًا على القراءة واضحًا، بينما تضاءل الحرص على القراءة في حقب تاريخية لاحقة؛ رغم وفرة الإمكانات المادية وقوتها. ولعل هذا هو ما يؤكده محسن جاسم الموسوي؛ حين يذهب إلى أن الأخذ عن التاريخ عند جمال الغيطاني يأتي أحيانًا "لتأكيد قسوة الواقع، أو لبناء التناقض بين الحلم وبين هذا الواقع"(٢).

وفن الخطط؛ كما سبق أن ذكرت، شكل أدبي قديم، بدأ ظهوره في مصر مع قيام الدولة المملوكية. ومن المعروف أن الأدب العربي في تلك الحقبة التاريخية تراجع كثيرًا، ولم تعد له قوته التي كان عليها من قبل؛ في العصر الجاهلي، وما تلاه من عصور ازدهار الأدب العربي؛ وهو ما دفع رواد النهضة الشعرية في العصر الحديث إلى محاكاة الشعر العربي القديم في عصور ازدهاره. ولعل "خطط الغيطاني" تستدعي هذا التاريخ الأدبي من خلال فن الخطط؛ لا لتُذَكِّر القارئ به، فهو تاريخ حاضر بقوة في ذهن قراء الشعر العربي؛ بل لتنبه هذا القارئ، وغيره من أفراد ثقافته، إلى ضرورة المحافظة على هذا المُنْجَز؛ بالحفاظ على جودة الشعر العربي؛ حتى لا يتراجع هذا الشعر مرة أخرى، إلى ما كان عليه في العصر المملوكي، وغيره من العصور التى ضعف فيها الشعر العربي ضعفًا واضحًا. بل إن "خطط الغيطاني" تنبه إلى ضرورة العناية بالفنون عامة؛ لأن تراجع الفنون ينطوي بالضرورة على تراجع صنوف الأدب؛ ومنها الشعر. وعلى هذا النحو فإن "خطط الغيطاني" يعتريها قلق من أن يأتي يومٌ تخلو فيه الثقافة "من نسخة كتاب،

(١) خطط الغيطاني، ص ٢٠٣.

(٢) محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية؛ النشأة والتحول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص ٣٦.

ويصير العثور على أسطوانة أشق من رؤية زهرة الجليد، تُباد المكتبات، وتُمْحى اللوحات، وتختفي القصائد والحكايات من الذاكرة"(١).

إن فكرة مراجعة التاريخ فكرة حاضرة بقوة في "خطط الغيطاني"؛ سواء على مستوى التاريخ العام، الذي ينتظم أفراد الثقافة الواحدة، في حقبة تاريخية محددة، أو على مستوى الأفراد، الذين يتوقفون بين الحين والآخر، لمراجعة تاريخهم الشخصي، وإعادة تقييمه؛ فالعوامل التي تتضافر على تشكيل التاريخ الشخصي للفرد، تختلف باختلاف مراحله العمرية؛ وهذا قد يُفَسِّر لنا التغيُّر المفاجئ الذي قد يعتري سلوك بعض الأفراد؛ حين الانتقال من مرحلة عمرية إلى مرحلة أخرى؛ كالانتقال، على سبيل المثال، من مرحلة الشباب إلى مرحلة الشيخوخة؛ إذ تتغير قناعات الفرد نحو الأشياء؛ بل إنه قد يندم على أفعال صدرت منه في شبابه، أو قد يندم على أفعال لم يقم بها في شبابه. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" في أمر أحد الشخوص، وقد أصابه المرض، واعتلَّت صحته؛ فأخذ يراجع أفعاله حال صحته؛ نادمًا على بعض الأفعال التي صدرت منه آنذاك؛ "لماذا عَطَّل أمور الناس؟ بماذا أفاده الشُحّ فيما لا يخصه؟ وإلام آلت الأمور؟ كان من الممكن أن يعيش حياته بشكل أفضل، لَمْ يسافر مرة واحدة خارج الخطط، لَمْ يَرَ الدنيا... لَمْ يتزوج"(٢).

ويُعَدُّ الحنين إلى الماضي أحد صور مراجعة التاريخ، الحاضرة بقوة كذلك في "خطط الغيطاني"؛ ففي الحنين إلى الماضي والانجذاب نحوه دليل على جمال هذا الماضي، الذي صار تاريخًا، وهنا تنعقد المقارنة بين الماضي والحاضر، وفي هذه المقارنة مراجعة للتاريخ ومعاودة تقييمه. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" حول الحنين إلى الطفولة وذكرياتها المنصرمة؛ إذ "يتردد فجأة صوت معدني، مصدره خفي، يتذكره عدد كبير؛ إنه مُذيع قديم، تخصص في

(١) خطط الغيطاني، ص ١١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٢١٣ – ٢١٤.

برامج الأطفال، شعر الكثيرون بحنين غامض إلى أيام ولَّتْ، إنه يتلو نصوصَ خطابات وصلت إليه من أطفال يبدون رغباتهم حول الوظائف التي يتمنون الالتحاق بها"(١).

وتقتضي مراجعة التاريخ قبول فكرة التحول الذي قد يعتري الحقبة التاريخية الواحدة؛ من حال القوة إلى حال الضعف؛ مما يستدعي محاولة الوقوف على العوامل التي أسهمت في هذا التحول؛ لتجاوزها في الحقب التاريخية التالية. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" من أنه "كما تخرب المباني وتتهاوى فإن التاريخ يَدبُّ إليه البلى، وأن الأيام تفنى، وأن الوقْع يصبح شديد الوطأة بالغ القسوة، عندما يعيش الإنسان لحظات التحول العظمى، عندما تأفل عهود وتجيء عهود"(٢). ولعل هذا يُذَكِّرنا بتاريخ الشعر في الأدب العربي؛ فقد ازدهر الشعر في حقب تاريخية محددة من الأدب العربي، واعتراه الضعف في حقب أخرى؛ مما استوقف أنصار النهضة للوقوف على أسباب ذلك، ومحاولة النهوض بالشعر مرة أخرى، وهو ما كان الحال عليه لدى مدرسة الإحياء والبعث.

٤ - " خطط الغيطاني" والخطابات الأخرى:

تتصل "خطط الغيطاني"، اتصالاً وثيقًا، بعدد من الخطابات الأخرى، التي تتقاطع معها، وتؤثر فيها، وتتأثر بها. ولا بد لفهم "خطط الغيطاني" فهمًا صحيحًا، من الوقوف على هذه الخطابات. وهذا نفسه هو ما أكدته التاريخانية الجديدة، التي تؤكد ضرورة قراءة النص الأدبي في ضوء علاقته بالخطابات الأخرى.

وقد حرص كُتَّاب الخطط قديمًا على أن تنقل خططهم الوقائع التاريخية والاجتماعية المرتبطة بمدينة معينة، أو مِصْر محدد؛ لذا كان قارئ هذه الخطط، منذ البداية، على دراية تامة بالبيئة المكانية والزمانية التي تتناولها الخطط. غير أن

(١) خطط الغيطاني، ص ٢٢١.

(٢) نفسه، ص ٢٦٢.

"خطط الغيطاني" لا تسير على هذا النحو؛ لأن صاحبها لم ينص في خططه على أنه ينقل وقائع تاريخية واجتماعية محددة، متصلة بمدينة معينة، أو مِصْر محدد؛ لأنه منحاز للأدب، لا للتاريخ؛ فالواقع عنده واقع نصي احتمالي متخيل؛ كما سبق أن ذكرت.

وعلى هذا النحو فإن كثيرًا من الأسئلة المتصلة بـ "خطط الغيطاني"، قد لا يستطيع القارئ الإجابة عنها، دون الاستعانة بالخطابات الأخرى المبثوثة في ثنايا "خطط الغيطاني". وعلى سبيل المثال فإن الغيطاني لم ينص في خططه على بيئتها المكانية، غير أنه بالرجوع إلى الخطابات الأخرى المبثوثة في ثنايا "خطط الغيطاني" يمكن الوقوف على هذه البيئة المكانية.

يقول الغيطاني في موضع من خططه: "يوجد في الخطط ثلاثة أرباع آثار الدنيا. أما الربع الباقي، الذي لا قيمة له؛ فموزَّع على سائر البلدان والأمصار. تنتمي آثار الخطط إلى عصور بدائية، وفرعونية، ورومانية، وفارسية، وإغريقية، وعربية إسلامية"(١). وعند النظر في هذا الكلام؛ نجد أنه يحوي بداخله خطابًا يتصل بعلم الآثار، وما أثبته من وجود آثار متنوعة في مصر؛ فرعونية، ورومانية، وإغريقية، إلخ. وعلى هذا النحو فإن هذا الخطاب، سالف الذكر، أعان على تحديد البيئة المكانية لخطط الغيطاني.

وفي موضع آخر يقول الغيطاني: "عندما خاض العثمانلية في خير الخطط، أنشد مؤرخ رقيق الفؤاد...

نوحوا على الخطط لأمر قد جرى... عمَّتْ مصيبته كل الورى"(٢). ولعل كلام الغيطاني هنا يحوي داخله نصًّا تاريخيًّا؛ يمكن الوقوف عليه استنادًا إلى خطاب التاريخ الذي يؤكد أن الدولة المملوكية في مصر سقطت على يد الأتراك (العثمانيين)؛ وهو ما يوضح أن البيئة المكانية لـ "خطط الغيطاني" هي مصر. وفي

(١) خطط الغيطاني، ص ٢٩٩.

(٢) نفسه، ص ٩.

موضع آخر من "خطط الغيطاني" يجد القارئ نفسه مدفوعًا نحو خطاب التاريخ؛ في محاولة منه للكشف عن الملك الذي يمكن أن يكون المقصود من قِبَلِ "جماعة تقول بأن ملكًا قديمًا من ملوك الخطط اضطهدهم وطردهم؛ ولهذا يضمرون حُنقًا خفيًّا ضد الخطط، ويسعون للحصول على مومياء هذا الملك المحفوظة في مقبرة لم تُكتشف بعد؛ للتشهير بها وحرقها، وإعلان النصر المؤجل منذ ستة آلاف سنة"(١).

وكيف للقارئ أن يفهم، على سبيل المثال، قول الغيطاني: "اعلم أن الله خير حافظ، جعل الخطط متوسطة الدنيا؛ فسلمت من الحر الشديد، والبرد القارس، طاب هواؤها، وضعف قيظها، ورقَّ بردها، سلم أهلها من... طواعين الهند، وعقارب أفريقيا، وكوليرا بنجلاديش..."(٢)؟ إن كلام الغيطاني هنا يتقاطع مع عدة خطابات أخرى، تعين القارئ على الفهم؛ منها: الخطاب الجغرافي المتصل بموقع مصر ومناخها، والخطاب التاريخي الذي يؤكد حفظ الله لمصر، ونجاتها من الغزاة الطامعين على مر التاريخ، ومنها كذلك الخطاب الثقافي الذي يؤكد غلبة ملمح معين على أرض بعينها.

وفي "خطط الغيطاني" مواضع، قد لا يمكن فهمها دون الاستعانة بخطاب النفس وعلمها؛ الذي ينطوي على نظريات متعددة، تفسر ما تنطوي عليه هذه النفس من عُقَدٍ واضطرابات وأمراض، وما يترتب على ذلك كله من ظهور سلوكيات غير سويَّة لدى بعض أفراد الثقافة. ومن ذلك؛ على سبيل المثال، ما نجده في سلوك إحدى شخصيات "خطط الغيطاني"، وقد جاء على لسانها: "المعرفة تعني ربط الحاضر بالماضي بالمستقبل، ومبتغاي عزل الحاضر، والنظر إليه مقطوعًا عمَّا سبقه أو ما سيلحقه. ما أتمناه أن يعرف الإنسان ولا يعرف، أن يرى ولا يرى؛ تمهيدًا للعمى الأعظم. أدنو إلى يوم تينع فيه أغراسي؛ فتختفي الشمس في وَضَح

(١) خطط الغيطاني، ص٣٠٢.

(٢) نفسه، ص ٨.

النهار، بينما بريقها يؤلم العيون"(١). إن تلك الشخصية، على هذا النحو، لا تكره الخير لفرد بعينه، أو لمجموعة محددة من الأفراد؛ بل تكره الخير للإنسان عامة. ولعل هذه الدرجة من الانحراف السلوكي، يحتاج فهمها إلى خطاب علم النفس ونظرياته المتعددة.

وفي "خطط الغيطاني" كذلك مواضع كثيرة تستدعي الخطابات الدينية؛ كالقرآن الكريم. ومن ذلك، على سبيل المثال، ما جاء في "خطط الغيطاني" حول وفاة أحد الشخوص: "وحكى الحاج علي بِأَسَى للمعزِّين كيف جاءت النهاية. قال: إن شقيقه قام من الدُكَّان، وصل إلى البيت، لم يكن مريضًا، ولم يَشْكُ أي شيء من قبل، فتحت امرأته الباب، صاح أولاده فرحين، فجأة تَكَوَّم...، وهنا استردَّ صاحب الأمانة أمانته"(٢). إن هذا الموت المفاجئ هنا يستدعي قول الله تعالى، في سورة لقمان (الآية ٣٤): "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير". وجدير بالذكر هنا أن الغيطاني لا يستدعي هذا الخطاب الديني لمجرد التذكير بالموت، وما يليه من حساب، يترتَّب عليه ثواب أو عقاب؛ بل يستدعيه؛ ليتذكره القارئ في كل مواضع "خطط الغيطاني" التي تنطوي على سلوكيات غير سويَّة. كما نجد في "خطط الغيطاني" كذلك مواضع كثيرة تستدعي السُنَّة النبوية؛ في دعوتها إلى الرفق بالحيوان وتَجَنُّب إيذائه؛ فقد ورد في الأثر النبوي الشريف أن امرأة دخلت النار في هِرَّة حبستها؛ فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. وفي "خطط الغيطاني" أن رجلاً "أوصى بما يملك لإطعام القطط والكلاب الضالة، وبَذْر حبوب القمح فوق قباب المساجد لإطعام العصافير المهاجرة في الشتاء"(٣).

---

(١) خطط الغيطاني، ص ١٠٩.

(٢) نفسه، ص ص ١٢٢ – ١٢٣.

(٣) نفسه، ص ١٥٩.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استدعاء الخطابات الأخرى؛ للاستعانة بها على فهم "خطط الغيطاني"، هو استدعاء نابع من النص ذاته؛ فمن الملفوظ اللغوي الماثل في "خطط الغيطاني"، ينطلق القارئ نحو محاورة الخطابات الأخرى خارجها. بعبارة أخرى يمكن القول: إن الخطابات التي يتم استدعاؤها لفهم "خطط الغيطاني"، هي في الأساس، منغرسة لغويًّا فيها. وعلى هذا النحو فإن هذه الخطابات هي، في حقيقة الأمر، نصوص متعددة منغرسة داخل "خطط الغيطاني" ذاتها.

وجدير بالذكر هنا أن مفردة (الخطط) تحيل على فنين مختلفين: فن العمارة، وفن الكتابة، والتداخل بين الفنين واضح في "خطط الغيطاني"؛ لدرجة يمكن القول معها: إن فهم مواضع كثيرة في هذا النص يستلزم من القارئ أن يكون على دراية تامة بخطاب العمارة؛ الذي تكتظ "خطط الغيطاني" بكثير من مفرداته؛ ومنها؛ على سبيل المثال: السور، الباب، المدخل، الزاوية، الزقاق، الركن، إلخ، وهي كلها مفردات تنتمي إلى خطاب العمارة، كما أنها، في الوقت ذاته، تنتمي إلى الخطاب اللغوي؛ فإذا كانت هذه المفردات مأخوذة من حقل المعمار أو البناء، فإنها، في الوقت نفسه، تؤدي دورًا مهمًّا في البناء الدلالي للنص؛ على نحو تتحول به "خطط الغيطاني" إلى معمار، كما يتحول المعمار بها إلى كتابة؛ مما يفرض على القارئ محاولة فهم مفردات العمارة في ضوء خطاب العمارة ذاته، والكشف عن دلالة تلك المفردات. ويبدو تأثر "خطط الغيطاني" بهندسة العمارة واضحًا، في مواضع كثيرة منها؛ إذ تتصدر مفردات العمارة أغلب عناوين هذا النص؛ مثل: الشارع الأول، زقاق التنوخي، عطفة الإمبابي، درب رونق، زاوية برنق، ساحة صغيرة، وغير ذلك.

٥ – "خطط الغيطاني" وشفرات الثقافة:

يهتم التاريخانيون الجدد، عند دراسة أي نص أدبي، بالوقوف على ما يسمونه: "شفرات الثقافة" الماثلة في هذا النص؛ والتي تعني عندهم القوانين المؤثرة في صيرورة المجتمع، والمحددة للمقبول وغير المقبول، من الأقوال أو الأفعال، لدى أفراد الثقافة. وفي هذا السياق يذهب ميشيل فوكو، على حد تعبير ماريان يورغنسن و لويز فيليبس، إلى أن "المعرفة ليست مجرد انعكاس للواقع. فالحقيقة هي بناء خطابي، وأنساق المعرفة المختلفة هي التي تحدد ما هو صواب وما هو خطأ. ويتمثل هدف فوكو في دراسة بنية أنساق المعرفة المختلفة؛ أي القواعد التي تحدد ما يمكن أن يقال، وما لا يقال، والقواعد التي تحدد ما يمكن أن يُعتبر صوابًا أو يعتبر خطأ. وتتمثل نقطة الانطلاق في كوننا، وعلى الرغم من امتلاكنا، من حيث المبدأ، عددًا غير محدود من الطرائق لصياغة الأقوال، فإن الأقوال التي يقع إنتاجها داخل مجال مخصوص تكون متشابهة ومتكررة إلى حد بعيد. وتوجد أقوال لا تُحْصى ولا تُعَد لم يتلفظ بها أحد، ولا يمكن أن تُقْبل باعتبارها أقوالاً دالة؛ فالقواعد التاريخية للخطاب المخصوص هي التي تحدد ما يمكن قوله"(١).

ومن تلك الشفرات ما هو منغرس في نفوس الأفراد، وتتعمد الخطابات المتعددة؛ ومنها خطاب الأدب، استنهاضه دائمًا في نفوس هؤلاء الأفراد. ومن ذلك – على سبيل المثال – ما تؤكده الثقافة من أن حياة الإنسان لا تستقر على حال واحدة، وأن دوام الحال – كما يقولون – مُحال. هذا ما يمكن استظهاره من قول الغيطاني في "خططه": "كانت الخطط مجلوة، زاهية، حتى إن أهالي الحي السابع أقاموا سبعين سنة لا يمشون فيه نهارًا إلا بخرق سوداء؛ خوفًا على أبصارهم من

(١) ماريان يورغنسن و لويز فيليبس، تحليل الخطاب: النظرية والمنهج، ترجمة: شوقي بوعناني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، مملكة البحرين، ٢٠١٩م، ص ٣٧.

شدة بياض مبانيه. وفي أقل من ميل في ميل... تبدَّل الحال... الأبيض أسود، شباب كأنهم شيوخ..."(١).

ومن شفرات الثقافة المنغرسة في "خطط الغيطاني" كذلك؛ فكرة التمسك بالحياة والحرص عليها، تحت أي ظرف؛ في مقابل فكرة أخرى لا تجد للحياة قيمة، ما لم تكن في ظروف كريمة. وتبدو فكرة التمسك بالحياة تحت أي ظرف، في "خطط الغيطاني"، في أكثر من موضع؛ منها؛ على سبيل المثال، ما جاء على لسان إحدى الشخصيات؛ وهي شخصية (التنوخي)؛ التي تتمثل ثقافة السير مع اتجاه الريح، لا ضدها؛ حفاظًا على مكاسبها الخاصة. وعلى هذا النحو فإن معاناة (التنوخي) الحقيقية؛ تتمثل في "استكشاف اتجاه الريح، وكتابة ما يُرْضِي هذا، وما يُثْلِج صدر ذاك"(٢). إن ثقافة السير مع اتجاه الريح، لا ضدها، هي من وجهة نظر أنصارها، إحدى صور ثقافة التمسك بالحياة، والحرص عليها، تحت أي ظرف. وهو ما نجده كذلك في "خطط الغيطاني" في شخصية (فرح حافظ)؛ الذي كَرَّس حياته لإيذاء الآخرين(٣)؛ من أجل الحفاظ على مكاسبه الخاصة.

وجدير بالذكر أن ثقافة التمسك بالحياة، والحرص عليها، تحت أي ظرف؛ هي نفسها إحدى الشفرات الثقافية المهمة، التي تنتشر في كثير من مواضع "خطط الغيطاني". هذه الثقافة نفسها هي التي دفعت (الأستاذ)؛ وهو أهم شخصية في جريدة (الأنباء)، إلى كراهية أي صحفي في الجريدة، أو موظف، أو عامل، لديه اهتمامات

---

(١) خطط الغيطاني، ص ٩. وقد جاء تأكيد ذلك في أكثر من موضع في "خطط الغيطاني"؛ مما يدل على عمق تلك الشفرة الثقافية، وتغلغلها داخل نسيج ذلك النص؛ ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك قول الغيطاني في خططه، ص ١٧٠: "اعلم أن الإنسان في تغير دائم، وتحول ليس له آخر، فابن العشرين ليس هو، عندما يصبح في الثلاثين، أو يتجاوز الخمسين، وسبحان المبدل، المغير".

(٢) خطط الغيطاني، ص ١٧٩.

(٣) راجع: المرجع السابق، ص ٣٧.

عامة، أو يقتني الكتب(١)؛ رغم ما عُرِفَ عنه من قدرته الفائقة على "الاستشهاد بالشعر القديم، والحديث، وأقوال بالإنجليزية، وحِكَمٍ باللاتينية، وفقرات فرنسية"(٢)؛ وليس ذلك إلا لرغبة هذا (الأستاذ) في أن يحتفظ لنفسه بموضع الصدارة في جريدة (الأنباء)، وألا يسمح لأحد في أن ينافسه في ذلك. البقاء هنا في موقع الصدارة من مشهد جريدة (الأنباء)، هو لون من ألوان التمسك بالحياة المقترنة بمنصب وظيفي بعينه، ومنع الآخرين، بشتى الطرق، من شغل هذا المنصب.

غير أن ثقافة التمسك بالحياة والحرص عليها، ينبغي ألا تُنْسي صاحبها حتمية الموت؛ وهو ما ينبغي أن يتذكره الإنسان دائمًا، وأن يُحْسِن الاستعداد له. هذه شفرة ثقافية أخرى منغرسة في الثقافة، ومنغرسة كذلك في "خطط الغيطاني"؛ فبعد أن مَرِضَ أحد شخوصها، وشعر بِقُرْبِ الموت، أصبح ما يشغله "بناء مقبرة له في الخطط، حصل بالفعل على قطعة أرض في المدافن الشرقية، وبَقِي أن يتفق مع أحد المقاولين المتخصصين ليبنيها، بعد بحث طويل اختار الكفن، اشترى كفنًا شرعيًّا من ثلاث طبقات؛ طبقتان قطنيتان، والثالثة حريرية، أخلى مكانًا في البيت، وضع فيه القماش بحيث يمكنه رؤيته في أيَّة لحظة أو حركة، توقف أمام المرآة، أحاط نفسه بالقماش الطويل، هَزَّ رأسه ودمعت عيناه مِرارًا عندما تخيل رقدته الأخيرة"(٣).

ومن تلك الشفرات كذلك ما تحاول الثقافة غرسه في نفوس أفرادها، في حقبة تاريخية محددة؛ لظرف تاريخي محدد كذلك، تجاه بعض الأشياء، أو الأفراد، أو الشعوب؛ فتبث في نفوسهم؛على سبيل المثال، ما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم تجاه أعدائهم. وهو ما نجده في "خطط الغيطاني" عند الحديث عن أعداء (الخط)، وكيف تغرس الثقافة في نفوس أفرادها صورة هذا العدو، وتحدد لهم ما ينبغي

(١) خطط الغيطاني، ص ٣٢.

(٢) نفسه، ص ٣٢.

(٣) نفسه، ص ١٨٩.

عليهم فعله تجاهه؛ إذ يتعلم الأطفال منذ صغرهم "كراهية الأعداء؛ الذين وُصِفوا بأنهم أغراب، أو أجانب، أو مرتزقة، وأنهم جاءوا من كل حدب وصوب. وجرت عادة الأمهات، في كافة مستوياتهن الثقافية، قص حواديت لأطفالهن، تدور حول الأعداء الأغراب، الذين جاءوا لخطف الحلوى من الصغار، ولحرمانهم من اللعب، ولتخويفهم ولإبعادهم عن الوالدين. وفي المدارس والجامعات لم يَخْلُ درس أو بحث أو رسالة علمية من إشارة إلى الأعداء، ومحاولة فهم أحوالهم. وفي الإذاعة أُنْشِدت آلاف الأغنيات. وفي المحافل تُلِيت القصائد تندد بالأعداء، وتستثير المشاعر للانتقام لأرواح الشهداء"(١). ولعل هذا يمثل قوة الثقافة في فرض هيمنتها على أفرادها؛ من خلال تحديد ما ينبغي على الأفراد فعله، أو الالتزام به؛ قولاً وفعلاً. وواضح من النص السابق كذلك، أن الثقافة تدعم نفسها وقيمها هنا؛ من خلال إبراز فكرة الآخر/ الأعداء؛ بوصفه المغاير الذي يهدد قيم الخير في الثقافة. وهذا ما أكده التاريخانيون الجدد.

وتلعب المعتقدات الشعبية دورًا مهمًّا في صيرورة المجتمع المصري؛ فهي تمثل أحد القوانين المهمة التي تتشكل من خلالها سلوكيات بعض أفراد المجتمع. والمعتقدات الشعبية، على هذا النحو، تمثل إحدى شفرات الثقافة داخل المجتمع. وتنغرس كثير من تلك المعتقدات الشعبية داخل نسيج "خطط الغيطاني"، ومنها، على سبيل المثال، ما جاء فيها من أنه: "حارت بخيتة أم خالد، توجَّست ثم أدركها رعب؛ لأن الموت فشا في الخطط؛ لكنه لم يدرك إلا المواليد، لم تسمع عن مرض مفزع

(١) خطط الغيطاني، ص ص ٢٩ – ٣٠. وقد جاء في أكثر من موضع في "خطط الغيطاني" ما يدل على أن الأعداء هنا هم الإسرائيليون. ومن هذه المواضع؛ على سبيل المثال، ما جاء في "خطط الغيطاني"من أنه: "جاء الأعداء منذ بداية القرن على دفعات إلى امتداد الأراضي الشمالية، ثم نمت قوتهم، واستفحل أمرهم، وهددوا الخطط...، وأرسلوا طائراتهم للإغارة على الشوارع والأسوار، وتسبب ذلك في نشوب عدة حروب، جرت على فترات شبه متساوية، معدل الفترة سبع سنوات". (ص ٢٩).

أدرك من هو في مثل خالد، لكنه يرقد منذ يومين، ترتفع حرارته، وألم يعض مفاصله، الطف يا كريم، يا كريم الطف، بعد نومه مالت على أذنه اليمنى، تلت البسملة سبع مرات، وقرأت الفاتحة سبع مرات، وسورة قل هو الله أحد، أحضرت ورقتين، قطعت أطرافهما، سوتهما على هيئة عروسة مصلوبة الذراعين، ثم أحضرت إبرة، تلت الفاتحة، دفعت الإبرة، مرة في عين أم سهير، مرة في عين أم علام، مرة في عين لا تعرف صاحبتها"(١). إن ما قامت به (بخيتة)، كما هو واضح في هذا المقتبس، هو سلوك يقوم به بعض أفراد المجتمع المصري؛ لاعتقادهم بأنه يمكن، من خلال هذا الصنيع، دفع الموت عن الأبناء. وهذا ليس موضعًا لمناقشة هذا المعتقد الشعبي؛ لكنه فحسب موضع لتأكيد أن "خطط الغيطاني" نص ينطوي على شفرات ثقافية متنوعة؛ منها المعتقدات الشعبية؛ مما يؤكد أنه يمثل الثقافة التي نشأ في إطارها، ويستوعبها جيدًا.

ومن الشفرات الثقافية المنغرسة في الثقافة المصرية، وفي "خطط الغيطاني" كذلك؛ تلك الشفرة المتصلة بالقَسَمِ بالمصحف الشريف لقداسته؛ لكن اللافت أن الثقافة المصرية تُحَذِّر من القَسَم الكاذب بالمصحف الشريف، وتؤكد أن هذا القَسَم الكاذب يمكن أن يصيب صاحبه بفقد البصر؛ لذا تشترط تلك الثقافة على مَنْ يُقْسِم بالمصحف الشريف أن يضعه على عينيه أثناء القسم. إن هذه الشفرة موجودة في الثقافة المصرية، ويتم الاحتكام وفقًا لها في كثير من المواقف. وهي كذلك منغرسة

(١) خطط الغيطاني، ص ص ١٦٥ – ١٦٦. ومن المعتقدات الشعبية التي تنغرس كذلك في "خطط الغيطاني"؛ ما يُسَمَّى (قراءة الكفّ)؛ وهو معتقد يقوم على فكرة مؤداها أن الغيب قد ينكشف لبعض البشر؛ فيعرف بعضهم من خلال الخطوط الممتدة في كفِّ الإنسان، أمورًا تتصل بمستقبل هذا الإنسان. هذا معتقد منغرس في الثقافة؛ ويمارسه بعض أفرادها. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" (ص ٤٠)؛ حين "أسلم خالد كفَّه لعجوز يجلس أمام المدرسة، قال العجوز: إن عمرًا طويلاً يمتد أمامه، وأنه سيصاب بمرض يلازمه".

في "خطط الغيطاني"؛ فقبل دخول (خالد) مدرسة التجارة المتوسطة، طلب منه والده "أن يضع المصحف على عينيه، وأن يقسم على استمراره في الدراسة حتى يحصل على مؤهلٍ عالٍ"(١).

وفي "خطط الغيطاني" كلام حول جريدة (الأنباء) التي انفردت بوضع خاص في الخطط؛ رغم تقلُّب الأحوال، وتعدد الظروف. وقد "أسَّسها في الأربعينيات رجل قيل إنه كردي، وزعموا أنه أرمني، ويؤكد الرواة الثقاة أنه تركماني، على أية حال لا يذكره الآن إنسان؛ لأنه رحل فجأة، وغابت أخباره عن الخطط. ولا تُنْسب الأنباء الآن إلا إلى الأستاذ"(٢). ويمكن القول: إن وصف مؤسس جريدة الأنباء، على هذا النحو، يضمر وراءه قانونين مهمين مؤثرين في صيرورة المجتمع، ومحركين، في الوقت ذاته، لسلوك أفراده. الأول: أن مؤسس جريدة الأنباء هنا جاء مُنَكّرًا مجهول الهوية، ولا يذكره إنسان. وقد يمكن تفسير ذلك بأنه رجل لم يترك وراءه من الأعمال الطيبة ما يجعل الناس يتذكرونه بها بعد موته؛ فالذكر للإنسان؛ كما هو معروف، عمرٌ ثاني. وهذا قانون مهم يُحَرِّك أفراد المجتمع أصحاب النفوس الطيبة؛ التي لا تذكر الإنسان بعد رحيله إلا بما ترك من الأعمال الخَيِّرة. وأما الثاني؛ فهو أن مؤسس جريدة الأنباء جاء وصفه على هذا النحو من التنكير والنسيان، في الوقت الذي صارت فيه جريدة الأنباء تُنْسَب فقط إلى رئيسها الجديد؛ وهو الأستاذ، أما الرجل الذي أسَّسها فقد غابت أخباره عن الخطط. إن وصف مؤسس جريدة الأنباء، على هذا النحو، يضمر وراءه أيضًا قانونًا مهمًّا، يؤثر في صيرورة المجتمع، ويحرك أفراده أصحاب النفوس غير السوية، الذين لا يكترثون بمن رحلوا، وإن تعددت مناقبهم، ويكترثون، في مقابل ذلك، بمن حلَّ مكانهم من الأحياء؛ رغبة منهم في تحقيق مكاسب خاصة.

---

(١) خطط الغيطاني، ص ٢٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢.

وفي "خطط الغيطاني" كذلك واحدة من الشفرات المهمة التي حاولت الثقافة غرسها في نفوس أفرادها، وهي شفرة تتصل بصورة المرأة في المجتمع الشرقي؛ لكن الغيطاني في "خططه" لا يحاول نقل هذه الصورة، أو إقرارها؛ بل يحاول إبراز زيفها. جاء في "خطط الغيطاني" أن رجلاً وصف المرأة بأنها لم تُخْلق إلا للزواج؛ مع أن هذا الرجل نفسه يكتب، بصفة مستمرة، عن حريتها وضرورة إسهامها في الحياة العامة(١). إن الغيطاني هنا يحاول إبراز زيف الصورة السائدة في المجتمع الشرقي حول المرأة؛ ويتهم الرجل بتعمده ترسيخ الصورة النمطية للمرأة؛ رغم كل ما يبرزه في العلن من مساندة للمرأة، ودعم لحريتها، ودعوة لضرورة إسهامها في الحياة العامة.

ومن الشفرات الثقافية المهمة التي نجدها في "خطط الغيطاني" كذلك؛ تلك الشفرة التي تتصل بمسألة الزواج؛ الذي ينبغي أن يقوم على أساس من التكافؤ بين الزوجين؛ حتى تستمر الحياة بينهما دون صعوبات. هذا ما تؤكده الثقافة؛ خاصة في المجتمعات العربية؛ وهو تكافؤ على عدة مستويات: مادية، واجتماعية، وفكرية، وغير ذلك. ولعل هذا ما نجده بوضوح في "خطط الغيطاني"؛ إذ يَوَدُّ (خالد)؛ أن يعترف بحبه لمحبوبته؛ لكنه "يعرف مُقَدَّمًا أنها لن تلتفت إليه، ولن تهتم به؛ لأن ملامحه قبيحة"(٢). بينما نجد في موضع آخر من "خطط الغيطاني" أن الموافقة على طلب الزواج تتم؛ لوجود التكافؤ بين الزوجين؛ إذ "قال توفيق بك لضيفه الدكتور فوزي؛ طبيب القلب المشهور: دعني أطلب يد ابنك لابنتي إيثار؛ ضحك الدكتور فوزي: أهكذا تنقلب الآية؟ نحن الذين نتشرف بإيثار"(٣). ولعلنا هنا نقف على شفرة ثقافية أخرى، تتصل كذلك بمسألة الزواج؛ إذ تنتشر في ثقافتنا الشعبية مقولة: (اخطب لابنتك، ولا تخطب لابنك). ومقصودها: أن اهتمام الأسرة بزواج البنت

(١) خطط الغيطاني، ص ٢٤.

(٢) نفسه، ص ٤٠.

(٣) نفسه، ص ص ٤٠ – ٤١.

ينبغي أن يكون مُقَدَّمًا على اهتمامها بزواج الابن. وهذا ما بدا واضحًا هنا في طلب توفيق بك؛ والد البنت، زواجها بإبن الدكتور فوزي.

وتُسْلِمنا الشفرة السابقة؛ وهي تقديم الأسرة زواج البنت على زواج الابن، إلى شفرة ثقافية أخرى، ماثلة كذلك في "خطط الغيطاني"؛ وهي شفرة ترتبط بالسن الذي تحدده الثقافة لزواج البنت، ويبدأ القلق يعتري أفراد الأسرة إذا تخطَّت إحدى بناتها هذه السن دون أن تتزوج. والجدير بالذكر هنا أن هذه السن تختلف من ثقافة إلى أخرى، ومن حقبة محددة في الثقافة الواحدة إلى حقبة أخرى. وفي "خطط الغيطاني" أنه بعد الرابعة والعشرين يبدأ قلق الأسرة بسبب تأخر ابنتها في الزواج؛ وربما زادت هذه السن في الحقب التالية في الثقافة نفسها. وفي كل الأحوال فإن هذا القلق قد يدفع أسرة البنت إلى قبول زواجها ممن يتقدم لخطبتها؛ حتى ولو لم يكن مناسبًا. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك ما جاء في "خطط الغيطاني" من أن (أم خيرية) عندما تقدَّم إلى خطبة ابنتها رجل تُرْكِيٌّ، جاءت به منيرة الخاطبة، وافقت رغم ضيقها؛ لأنها ستطمئن أخيرًا على ابنتها، التي تجاوزت الرابعة والعشرين، ولم تتزوج. وما يحزنها أن ابنتها ستعيش في تركيا؛ أي في بلاد بعيدة عنها، ستكون ابنتها غريبة فيها، وستلد ابنتها؛ إن قُدِّر لها ذلك، بعيدًا عنها، وسيصبح أحفادها غرباء، وأخيرًا فإن هذه الأم ليست متأكدة من أنها سترى ابنتها ثانية بعد سفرها إلى تركيا(١). وتجدر الإشارة هنا إلى أن الغيطاني، حين يستدعي في "خططه" هذه الشفرة الثقافية؛ فإنه يستدعيها؛ ليجذب القارئ للدخول في قراءتها؛ من خلال عملية تواصل فعَّال، يحاول الغيطاني إقامتها بين القارئ والنص والسياق ذاته؛ فعَرْض الغيطاني لتلك الشفرة الثقافية، على هذا النحو، يدفع القارئ نحو التعاطف مع (أم خيرية) وابنتها، كما يدفعه كذلك إلى أن يقيم معهما نوعًا من الاستبطان، الذي يجعله يدخل في لون من ألوان تبادل الأدوار؛ فيتخيل القارئ نفسه أبًا لهذه الفتاة.

(١) خطط الغيطاني، ص ص ٨٤ – ٨٥.

وهذا الاستبطان نفسه قد يكون قادرًا على تحريك القارئ نحو الإسهام في طرح أسباب هذه الشفرة الثقافية، وطرح حلول للتخفيف من حدتها(١).

وللثقافة، كما تؤكد التاريخانية الجديدة؛ كما سبق أن ذكرت، شفراتها أو قوانينها؛ التي تحدد لأفرادها، ما هو مسموح لهم بممارسته، من أقوال أو أفعال. وتحرص الثقافة على ترسيخ تلك القوانين؛ فتثيب من يتمسك بها، وتعاقب من يتعمد خرقها. هذا ما نجده، بوضوح، في "خطط الغيطاني"؛ لدى ذلك الشخص الذي "قرأ... صفحة الوفيات، خَطَّ دوائر بقلمه الأحمر، نقل عناوين العزاء، كتب برقية لإرسالها إلى ثلاث عائلات: نهنئكم بوفاة المرحوم... ضحك... تخيل ردود أفعال أسر المتوفين"(٢). إن الثقافة في مثل هذه المناسبات، تفرض على أفرادها تقديم عبارات المواساة أو العزاء؛ بينما نجد هنا مَنْ يقدم التهنئة؛ مخترقًا الثقافة وقوانينها، ومستفِزًّا عائلات الموتى. غير أن هذا الشخص يدرك مخالفته لقوانين ثقافته؛ لذا نراه يتخيل ردود أفعال أُسَرِ الموتى.

(١) وفي "خطط الغيطاني" عدة مواضع، يبدو فيها التطرق لأسباب تلك الظاهرة، ومحاولة اقتراح حلول لها. من هذا، على سبيل المثال، ما جاء فيها بشأن فتاة تأخرت في الزواج بسبب اشتراطاتها المبالغ فيها؛ سواء في مَنْ يتقدم لخطبتها، أو في ما تطلبه هي من أعباء مادية قد يعجز عن القيام بها. وقد تَقَدَّم أحدهم لخطبتها، فاشترطت، على سبيل المثال، أن يوفر لها "أثاثًا من ثلاث حجرات، ومطبخًا حديثًا، ونجفة من دورين في الصالون، ونجفة من الخزف في صالة الطعام، وإضاءة غير مباشرة في غرفة النوم، وسجادًا غزير الوبر" (خطط الغيطاني، ص ١٦٢).

(٢) نفسه، ص ٧٨.

خاتمة الدراسة:

انتهت الدراسة إلى عدد من النتائج؛ يتمثل أهمها فيما يلي:

١ – نجح الغيطاني من خلال "خططه" في حَمْل شكل فني قديم؛ هو الخطط، على الدخول في سياق إبداعي جديد؛ هو الرواية. كما نجح، في الوقت ذاته، في أن يحمل شكلاً فنيًّا حديثًا؛ هو الرواية، على أن يفصح عن ذاته، بواسطة شكل فني قديم؛ هو الخطط.

٢ – أن الواقع في "خطط الغيطاني" واقع ملفوظ أو لغوي؛ أي أنه، بعبارة أخرى، أثر للواقع، وليس هو الواقع ذاته. وعلى هذا النحو فإن ما يرد في هذا النص من إحالات خارج النص ذاته، هي إحالات ترتبط بالإبداع الأدبي، أكثر من ارتباطها بالإحالة على الواقع الخارجي؛ فهذه الإحالات ترتبط بالطريقة التي يتم بواسطتها تشييدها في الأدب.

٣ – تبدو فكرة مراجعة التاريخ؛ من خلال محاورته أو إعادة قراءته، واضحة في "خطط الغيطاني".

٤ – تتصل "خطط الغيطاني"، اتصالاً وثيقًا، بعدد من الخطابات الأخرى، التي تتقاطع معها، وتؤثر فيها، وتتأثر بها. ولا بد لفهم "خطط الغيطاني" فهمًا صحيحًا، من الوقوف على هذه الخطابات.

٥ – تنطوي "خطط الغيطاني" على شفرات ثقافية متنوعة؛ مما يؤكد أنها تمثل الثقافة التي نشأت في إطارها، وتستوعبها جيدًا.

قائمة المصادر والمراجع:

١ – بشير القمري، شعرية النص الروائي؛ قراءة تناصية في كتاب التجليات، دار البيادر للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ١٩٩١م.

٢– تيري إيغلتون، كيف نقرأ الأدب، ترجمة: محمد درويش، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.

٣– جمال الغيطاني، خطط الغيطاني، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٨٠م.

٤– جوناثان كولر، مدخل إلى النظرية الأدبية، ترجمة: مصطفى بيومي عبدالسلام، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥– ستيوارت سيم، و بورين فان لوون، أقدم لك النظرية النقدية، ترجمة: جمال الجزيري، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦– سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي؛ النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.

٧– فخري صالح، في الرواية العربية الجديدة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

٨– فنسنت. ب. ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ترجمة: محمد يحيى، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩– ك. نلووف، ك. نوريس، ج. أوزبورن، القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، ترجمة: إسماعيل عبدالغني وآخرون، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٠– ماريان يورغنسن و لويز فيليبس، تحليل الخطاب: النظرية والمنهج، ترجمة: شوقي بوعناني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، مملكة البحرين، ٢٠١٩م.

١١– محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية؛ النشأة والتحول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

١٢- محمد بدوي، الرواية الحديثة في مصر؛ دراسة في التشكيل والإيـــديولوجيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

١٣- ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربـــي، بيروت والدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٢م.

١٤- يمنى العيد، الرواية العربية؛ المتخيل وبنيته الفنيه، دار الفـــارابي، بيـــروت، لبنان، ٢٠١١م.

فهـرس الموضـوعـات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	الملخص	١٣٣٢
٢-	Abstract	١٣٣٣
٣-	الإطار النظري:	١٣٣٤
٤-	الإجراء التطبيقي:	١٣٤٢
٥-	١- "خطط الغيطاني" ومحاكاة الواقع:	١٣٤٢
٦-	٢ - " خطط الغيطاني" وظرفها التاريخي:	١٣٥٢
٧-	٣ - " خطط الغيطاني" ومراجعة التاريخ:	١٣٥٧
٨-	٤ - " خطط الغيطاني" والخطابات الأخرى:	١٣٦٥
٩-	٥ - "خطط الغيطاني" وشفرات الثقافة:	١٣٧٠
١٠-	خاتمة الدراسة:	١٣٧٩
١١-	قائمة المصادر والمراجع:	١٣٨٠
١٢-	فهـرس الموضـوعـات	١٣٨٢

تم بحمد الله